طرائفُ ونوادرُ

من سِيَرِ اللغويين والنحاة

الدكتور
سيد خضر

الناشر
دار الهدى للكتاب
بيلا - كفر الشيخ
ت: ٥٨٢٦٠١ - ٥٨٣٦٠١ - ٥٨٤٦٠١

الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م

طبع آمون

٤ عطفة فيروز - متفرع من ش إسماعيل أباظة - لاظوغلي

تليفون: ٣٥٤٤٥١٧ - ٣٥٤٤٣٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ، ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأن محمد صلى الله عليه وآله وسلم عبده ورسوله ، وبعد :

فإن علم اللغة العربية من العلوم التي حببها الله إلى نفسي منذ الصغر ، ثم أكرمني الله تعالى بالتخصص في ميدانها الرحيب ، وكنت أقرأ في مصادرها الكثيرة المتنوعة ، وكان من ذلك قراءاتي لسير اللغويين والنحاة ، فوجدت بعضاً من الطرائف والنوادر في بطون كتب التراجم واللغة ، وهي كتب لا تتوافر عادة لعامة القراء الكرام ، ولا وقت لديهم للتجوال في بطونها ، فأحببت أن أجمع لهم بعضاً من هذه النوادر .

وهذه النوادر والطرائف متنوعة ، منها ما هو في اللغة والنحو ومنها ما هو في القراءات والأخلاق والمنافسات ...إلخ ، وقد آثرت أن أذكر الخبر أو النادرة بنصه مع إتباعه بذكر المصدر والصفحة ، ثم أعلق على ذلك بما يسهّله ويوضح غامضه أو مجمله لأقرِّبَ ذلك التراثَ الجليل إلى القراء الكرام .

وهدفنا من وراء هذا كله تقريب اللغة العربيــة إلى القـراء ، أو تقريب القراء إلى العربية ، فهي لغة الدين والتراث ، بل إنها مـن الديـن ، لأن فهـم القـرآن والسـنة والـتراث الإسـلامي الضخــم يتوقف على فهم العربية وإتقانها ، فإذا استطاع هـذا الكتـاب أن يقرب القراء إلى العربية فهذا هو ما أردناه ، وإلا ، فذلـك جهـد بذلناه ، ونسأل الله العون والمغفرة .

دكتور
سيد خضر
كفر الشيخ - بيلا - ابوبدوي

تمهيد

في نشأة الدراسات اللغوية عند العرب

نزل القرآن بلسان عربي مبين ، وتلقاه قوم عُرفوا بالفصاحة والبلاغة،ولكن الإسلام لم يكن للعرب وحدهم وإنما هو رسالة عالمية للناس كافة ، قال تعالى ﴿وما أرسلناك إلا كافةً للناس بشيراً ونذيراً﴾ (سبأ : ٢٨) وقال رسول الله ﷺ : " فُضِّلْتُ على الأنبياء بست : أُعطيتُ جوامعَ الكلم ، ونُصرتُ بالرعب ، وأُحلّت لي الغنائمُ ، وجُعلت لي الأرضُ طهوراً ومسجداً ، وأُرسلت إلى الخلق كافة ، وخُتم بي النبيون" (رواه مسلم والترمذي من حديث ابي هريرة ، انظر صحيح الجامع الصغير: ٤٢٢٢)

فعالمية دعوة الإسلام كانت معروفة منذ أيامه وخطواته الأولى في دروب مكة وشِعابها ، ولهذا بدأ النبي ﷺ يدعو الناس جميعاً إلى الإسلام ، فدخل فيه العربي والأعجمي ، والأعجمي عند العرب كل من لا يتكلم بالعربية ، هكذا رأوا أن لغتهم هي اللغة ، ومن لا يحسنها فهو أعجم ، والعجماء : البهيمة التي لا تنطق ولا تميز ، فتسمية من لا يعرف العربية بالأعجمي توحي بتعظيم العرب للعربية حتى قبل الإسلام ، ولقد دخل الناس في دين الله أفواجاً من كل جنس ولون ، وأكثر أهل البلاد المفتوحة في العراق وفارس ومصر وغيرها كانوا لا يحسنون العربية ،

فنشأ اللحن ، واللحن في الأصل التغيير المتعمد في الكلام لدلالة خاصة ثم أطلق على الخطأ في النحو ، كرفع المنصوب أو جره ...إلخ .

وعلى أثر ذلك نشأت دراسة النحو لتقويم اللسان ، والحفاظ على اللسان الذي به يُقرأُ القرآن الكريم ، فالنحو في أساس نشأته وكذلك كل علوم اللغة العربية إنما نشأت لخدمة القرآن الكريم وتفسيره ، وأول من وضع لبنة المعجم العربي كان صحابياً فقيهاً هو عبد الله بن العباس حبر الأمة ، الذي دعا له النبي ﷺ بأن يفقهه الله في الدين ويعلمه التأويل ... جاء في كتاب الإتقان للسيوطي : " بينا عبدُ الله بن عباس جالس بفناء الكعبة قد اكتنفه الناسُ يسألونه عن تفسير القرآن، فقال نافع بن الأزرق لنجدةَ بن عُويمر : قم بنا إلى هذا الذي يجترىء على تفسير القرآن بما لا علم له به ، فقاما إليه فقالا : إنا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله فتفسرها لنا وتأتينا بمصادقه من كلام العرب ، فإن الله تعالى إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين ، فقال ابن عباس : سلاني عما بدا لكما ، فقال نافع : أخبرني عن قول الله تعالى ﴿ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴾ (المعارج : ٣٧)

قال ابن عباس : العِزون : حَلَق الرفاق ، قال نافع : وهل تعرف العربُ ذلك ؟ قال نعم ، أما سمعت عَبيدَ بن الأبرص وهو يقول :

فجاءوا يُهرَعون إليه حتى   يكونواحولَ مِنْبرِه عزينا

ويستمر نافع في السؤال وابن عباس في الجواب على هذا النمط حتى تصل الأسئلة إلى مائة وتسعين مسألة (انظر : الإتقان في علوم القرآن ١٥٨/١) وقد شرحتها وفصّلتها الدكتورة عائشة عبد الرحمن في كتابها " الإعجاز البياني للقرآن " (ط دار المعارف) .

هكذا وضع ابن عباس نواة المعجم العربي والدراسات اللغوية عند العرب ، ووضع أبو الأسود الدؤلي أول قواعد النحو العربي ، ثم توالت بعد ذلك جيوش من العلماء يدرسون العربية من كل نواحيها : الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية والدلالية ، وما من شيء يخص اللغة إلا درسوه وألفوا فيه المؤلفات ، فبدأ الخليل بن أحمد بوضع أول معجم عربي هو العين ، ووضع تلميذه النجيب سيبويه أهم كتاب في النحو العربي هو الكتاب ...

إن أوسع حركة تأليف نشأت في التاريخ هي الحركة التي نشأت لدراسة القرآن الكريم والسنة النبوية واللغة العربية ، ومكتبات الدنيا شرقاً وغرباً تحتفظ بالملايين من المخطوطات العربية الإسلامية التي لم ترَ النور بعد .

ونظرة في الكتب الخاصة بسير اللغويين والنحاة أو كتب الطبقات التي ترجمت لعلماء اللغة والنحو فقط من بين أعلام أمة الإسلام ، أقول: نظرة في هذه الكتب ترينا العدد الهائل من العلماء الذين تتابعوا على

دراسة العربية والتأليف فيها جيلاً بعد جيل ، رحمهم الله تعالى جميعاً ، ومن هذا الفيض الزاخر ، والبحر الهادر ، نلتقط هذه اللآلئ والجواهر، من الحوارات والمناقشات والأخبار التي كانت تجري بينهم ، لعلنا نلحق بركابهم ونمضي على سننهم .

وبالإضافة إلى ما في هذه النصوص من فوائد لغوية ونحوية وثقافية ... فإنها بطبيعتها وزمانها الذي قيلت فيه تصور لنا جوانب متنوعة للزمان الذي قيلت فيه وأخلاق أهله وعاداتهم ، مما يقربنا إلى تاريخ أجدادنا ، ولا شك أن فهم التاريخ والوعي به هما أولى خطوات الانطلاق نحو المستقبل ، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

من نوادر الأصمعي

هو عبد الملك بن قُرَيب الأصمعي البصّري اللغوي ،أحد أئمة العلم واللغة والأخبار والنوادر ، وأحد الحفاظ المكثرين ،نادمَ الخلفاءَ والوزراء وأدّب أولادَهم ، ومن نوادره :

١- قال الأصمعيُّ للكسائي وهما عند الخليفة الرشيد : ما معنى قول الراعي :

قتلوا ابنَ عفانَ الخليفةَ مُحْرِماً　　　ودعا فلم أرَ مثلَه مخذولا

قال الكسائي :كان محرماً بالحج ، قال الأصمعي : فقول الشاعر:

قتلوا كِسْرى بليلٍ مُحرِماً　　　فتولّى لم يُمتّعْ بكفَنْ

هل كان محرماً بالحج ؟ فقال هارون للكسائي : ياعليُّ ، إذا جاءك الشعرُ فإياك والأصمعيَّ .

قوله : مُحرِماً :أي كان في حرمة الإسلام ، ومن ثَمَّ قيل مسلمٌ: محرمٌ أي لم يُحلَّ من نفسه شيئاً يوجبُ القتلَ ،وقوله "محرماً"في كسرى يعني حرمةَ العهد الذي كان له في أعناق أصحابه.(أخبار النحويين البصريين:٤٦-٤٧،ط الحلبي١٣٧٤هـ -١٩٥٥م)

قلت : يصور هذا الخبر بعضاً مما كان يدور في مجالس العلم والسمر في قصور الخلفاء من النقاش والحوار في مسائل العلم واللغة ، مما أدى

إلى تنافس العلماء في التزود بالثقافة العالية، ولاغروَ أن شهدت الحضارة الإسلامية أوْج عظمتها ورقيها وازدهارها في ذلك العصر العباسي الأول - حاشا عهدَ النبي ﷺ إذ هو خير القرون - وكل ذلـك بسبب تشـجيع المجتمع للعلماء ولطلاب العلم وتوقيرهم وتقديرهم .

والشاعر يشير في البيت الأول إلى حادثة قتل الخليفة عثمان بن عفـان رضي الله عنه ،مع ما له من حرمـة بإسـلامه وبصحبتـه للنـبي ﷺ وعـدم ارتكابه ما يوجب القتل ،ولكنه مات شهيداً يرحمـه الله، وكـان قـد دعـا بعض المسلمين لنصرته،ولكن المهاجمين كانوا قـد أحـاطوا بـداره ومنعـوا الوصول إليه ، فقتلوه وهو يتلو القرآنَ ممسكاً بمصحفه .

وقد ظن الكسائي ها هنا أن عثمان كان محرماً بالحج ،وذلك لأنه نظر إلى الدلالة الشرعية للفظ ، وها هنا تنبيه مهم ينبغي تفصيله .

لقد جاء الإسلام بحضارة جديدة ، ولكنه استعمل لغة موجودة بالفعل فكان لابد من نقل كثير مـن ألفـاظ تلـك اللغـة مـن دلالتهـا القديمـة إلى دلالات جديدة لتحمل المعاني الجديدة للحضارة القادمة، ومن ثم فهناك الدلالة اللغوية العامة ،وهناك الدلالة الشـرعية الخاصـة، فـالحجُّ في أصـل اللغة القصْد إلى مكان ما ،وفي الشرع هو أداء المناسـك المعروفـة ،وخـير ما يصور مرادنا ها هنا قول العلامة اللغـوي أحمـد بـن فـارس رحمـه الله: "كانت العربُ في جاهليتها على إرثٍ من إرث آبائهم في لغتهم وآدابهم ونسائكهم وقرابينهم ،فلما جاء الله جلّ ثنـاؤه بالإسـلام حـالت أحـوال

ونسخت ديانات ،وأُبطلت أمور ، ونُقلت من اللغة ألفاظٌ من مواضعَ إلى مواضع أخر بزيادات زيدت ،وشرائع شُرعت وشرائط شُرطت ...فكان مما جاء في الإسلام ذكر المؤمن والإيمان وهو التصديق ،ثم زادت الشريعة شرائط وأوصافاً بها سمي المؤمن بالإطلاق مؤمناً ...إلى أن قال : ومما جاء في الشرع الصلاة وأصله في لغتهم الدعاء ...وكذلك الصيام أصله عندهم الإمساك...إلخ" (الصاحبي :٧٨- ٨٥)

قلت :فالمحرم في الأصل اللغوي من له حُرمة وذمة ، وفي الشرع من لبس ملابس الإحرام لأداء العمرة أو الحج ، فنظر الكسائي إلى اللفظ بمعناه الشرعي ، ولم يكن عثمان محرماً بالحج ، واحتج عليه الأصمعي ببيت فيه ذكر إحرام كسرى وهو قوله :

قتلوا كسرى بليلٍ محرماً فتولى لم يُمتع بكفنْ

ومعلوم أن كسرى كان كافراً لايعرف حجاً ولا إحراماً ،وإنما هو ما كان له من الحرمة والعهد في رقاب أصحابه .

وقول الرشيد :إياك والأصمعيَّ ،الأصمعي : منصوب على التحذير أي هو مفعول لفعل محذوف تقديره أحذر ،وا لله أعلم .

٢- دخل الأصمعي يوماً على الرشيد بعدَ غيبةٍ كانت منه فقال له : يا أصمعي ،كيف كنت بعدي ؟ فقال :ما لاقتنِي بعدَك أرضٌ، فتبسّم الرشيد ، فلما خرج الناسُ قال له :ما معنى قولك: ما لاقتني أرضٌ؟

قال: ما استقرت بي أرض ،كما يقال : فلانٌ لايَليقُ شيئاً أي لايستقر معه شيء ، فقال له :هذا حسن ، ولكن لاينبغي أن تكلمني بين يدي الناس إلا بما أفهمه ،فإذا خلوتُ فعلمني ، فإنه يقبح بالسلطان ألا يكون عالماً ،إما أن أسكتَ فيعلمَ الناس أني لا أفهم إذا لم أُجبْ ، وإما أن أجيبَ بغير الجواب فيعلمَ من حولي أني لم أفهم ما قلت ، قال الأصمعي: فعلمني أكثر مما علمته" (أخبار النحويين البصريين :٤٩)

قلت : في الخبر بيان مكانة الأصمعي عند الرشيد خليفة المسلمين ، وما وصل هذه المكانة إلا بعلمه الغزير ، وفيه بيان ما كان عليه الرشيد من أدب جمّ وعلم غزير ، وليس يقدح في ذلك عدمُ معرفته كلمةً قالها الأصمعي ، فلسان العرب أوسع الألسنة وأكثرُها مفرداتٍ ،وإذا زعمتُ أننا لانستعمل إلا قريباً من نصف كلمات العربية المسجلة في بطون المعاجم وفي أشعار العرب وكلامها ، ما حسبتني بعيداً عن الصواب ، وقد ذُكر عن الإمام الشافي رحمه الله أنه قال : لايحيط باللغة إلا نبيٌّ .

أما اللفظ الذي لم يعرفه الرشيد في قول الأصمعي : ما لاقتني بعدك أرض ،فقد جاء عنه في لسان العرب (ليق) قوله :" لاقَ الشيءُ بقلبي لَيْقاً ولَيقاً ولَيَقاناً والتاق : لَزِق ...وما يليقُ ذلك بصَفَري أي ما يثبت في جوفي ،وما يليق هذا الأمرُ بفلان أي ليس أهلاً أن ينسب إليه ...وما لِقْتُ بعدك بأرض أي ما ثبتُّ".

فالمادة اللغوية تدل على اللزوم والثبات ،ونفى الأصمعي ذلك عن نفسه تقرباً إلى الرشيد .

فائدة في إعراب جملة الأصمعي : ما نافية غير عاملة ،لاقَتْ : فعل ماض مبني على الفتح المقدّر على ألفه المحذوفة ،والتاء للتأنيث لا محل لها من الإعراب ،والنون للوقاية ،أي وقاية التاء المبنية على السكون من الكسر بسبب وجود الياء بعدها ، والنون لا محل لها من الإعراب ،الياء: ضمير متصل مبني على السكون في محل نصب مفعول به ، أرض: فاعل مؤخر مرفوع بالضمة الظاهرة .

٣- قال أبو العباس : نمى إليّ أن الرشيد مازحَ أمَّ جعفرٍ، فقال لها: كيف أصبحتِ يا أمَّ نهرٍ؟ فاغتمت لذلك ، ولم تدرِ ما معناه، فوجّهت إلى الأصمعي تسأله عن ذلك ، فقال لها : الجعفرُ : النهر الصغير، وإنما ذهب لهذا ، فطابت نفسُها "(أخبار النحويين : ٥٠).

قلت : في الخبر بيان ثقافة الرشيد العالية ،وتلطفه وتواضعه وفيه بيان حب امرأته الوقوفَ على حقيقة ما أراد ،حتى هدأت نفسها بتفسير الأصمعي لذلك .

وقد استعمل الرشيد مرادف الجعفر وهو النهر ،جاء في لسان العرب: " الجعفرُ : النهرُ عامةً " وقد اختلفوا فيه ،فعدّه بعضهم النهر الصغير وعدّه آخرون النهر الكبير ،ومنه سمي الرجل جعفراً ،وكان من عادة العرب في التسمية أن ينقلوا الأسماء المستحبة من اللغة إلى الأعلام فقالوا

عن الكريم : بحر وجعفر ، وعن القوي : جبل وصخر وحجر وسيف ، وربما سموا بالأسماء القبيحة أو ذات المعاني المستكرهة مثل: حرْب وحيّة.

٤- قال الأصمعي : حضرت أنا وأبو عبيدة عند الفضل بن الربيع ، فقال لي :كم كتابُك في الخيل ؟ فقلت :مجلدٌ واحدٌ، فسأل أبا عبيدة عن كتابه فقال : خمسون مجلداً ،فقال له :قم إلى هذا الفرس وأمسك عضواً عضواً منه وسمِّه ،فقال :لست بَيْطاراً وإنما هذا شيء أخذته عن العرب فقال : قم يا أصمعيُّ وافعل ذلك ،فقمتُ وأمسكتُ ناصيتَه وجعلت أذكر عضواً عضواً وأضع يدي عليه ،وأنشد ما قالته العرب إلى أن بلغت حافره، فقال : خذه ،فأخذت الفرس ،وكنت إذا أردت أن أغيظه – يعني أبا عبيدة – ركبته وأتيته "(بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي :١١٣/٢)

في الخبر بيان تفضيل الوزراء والأمراء للعلماء ومجالستهم وسؤالهم عن أعمالهم وكتبهم ،وكل ذلك من أسباب التقدم والرقيّ الحضاري، والكتب أساس العلم .

وأذكرهنا أن الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله لما انتهى من كتابه العظيم الجامع "فتح الباري بشرح صحيح البخاري " وقد استغرق في تأليفه خمساً وعشرين سنةً،لما انتهى منه دعا إلى حفل كبير خارج القاهرة حضره الولاة والوزراء والعلماء ...وأنفق فيه أموالاً كثيرة

...والأصمعي من حفاظ العرب الكبار وقد ألّف كتابه في الخيل في مجلد واحد ، بينما بالغ أبو عبيدة في كتابه لأسباب سنذكرها بعد .

وهذا التأليف في موضوع واحد كان سبباً في ظهور المعاجم الموضوعية ثم المعاجم العامة فيما بعد ،حيث انتشر العلماء في جزيرة العرب يجمعون الألفاظ ومعانيها،أما الأصمعي فاكتفى باسم واحد أو اسمين لكل عضو من الفرس ،وأما أبو عبيدة فنقل ألفاظ القبائل المختلفة ومسمياتها المتعددة للشيء الواحد فجاء كتابه كبيراً بهذا الوصف، وكان جمع الألفاظ المختلفة للشيء الواحد من قبائل متعددة سبباً في انتشار ظاهرة الترادف اللفظي في العربية بصورة لافتة ،ولهذا مباحث أخرى .

وكتاب الخيل للأصمعي نشره المستشرق " أوجست هَفْنَرْ" في "فينا" عاصمة النمسا سنة ١٨٩٥ م ، ويبدأ الفصل الأول منه بإرادة الخيل للفحل حتى تنتج ،ثم يلي ذلك تسمية خَلْق الخيل عضواً عضواً، والفصل الثاني بعنوان "ما يُستحب في الخيل "والثالث في "ما يكره في الخيل "والرابع في صفة مشي الخيل وعَدْوها "والخامس في ألوان الخيل، والسادس في الشّيات ،وهي العلامات التي توجد في الخيل ،ويختم الكتاب بذكر الخيل المشهورة وأسماء أصحابها ، وبعض قصص سباق الخيل ،ومن أمثلته في باب الشيات قوله : "منها : الغُرّة وهو بياض الجبهة، فإذا صغُرت فهي قُرْحة ،فإذا استطالت وانتصبت فهي شِمْراخ ،

فإذا انتشرت قيل :غرّة شادخة ،وفرس شادخ الغرة ..."(فصول في فقه العربية للدكتور رمضان عبد التواب :٢٣٢)

٥- قال الرّياشيُّ :كنا عند الأصمعي ، فوقف عليه أعرابيٌّ فقال : أنت الأصمعي ؟ قال : نعم ،قال :أنت عالمُ أهل الحَضَر بكلام العرب ؟ قال : كذلك يزعمون ، قال : ما معنى قول الأول:

وما ذاك إلاالدِّيكُ شاربُ خَمْرةٍ   نديمُ الغرابِ لايَمَلُّ الحَوَانيا

فلما استقلَّ الصبحُ نادى بصوته   ألاياغرابُ ،هل رَدَدْتَ ردائيا ؟

فقال الأصمعي : إن العرب كانت تزعم أن الديك في الزمان الأول كان ذا جناح يطير به في الجو ،وأن الغراب كان ذا جناح كجناح الديك لايطير به ،وأنهما تنادما ذات ليلة في حانة يشربان ، فنفد شرابهما ،فقال الغراب للديك :لو أعرتني جناحك لأتيتك بشراب ، فأعاره جناحه ، فطار ولم يرجع، فزعموا أن الديك إنما يصيح عند الفجر استدعاءً لجناحه من الغراب ، فضحك الأعرابي وقال : ما أنت إلاشيطان "(مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي :٨٨ -٨٩) .

قلت : اشتهر الأعراب - وهم سكان البوادي - في ذلك الزمان بالفصاحة ، وعنهم أُخذ كثير من الشعر واللغة ،حيث لم تختلط ألسنتهم بالأعاجم ،فحافظوا على لغتهم نقية من اللحن والدخيل، وكان هؤلاء الأعراب إذا وردوا إلى الحواضر استقبلهم العلماء فسألوهم عن اللغة

والشعر والنوادر ،وهذا الأعرابي أراد اختبار الأصمعي بهذه الأبيات وهي تمثل أسطورة من أساطير العرب، والأساطير عادة تنشأ لتفسير أمر لايعرف الإنسان حقيقته ،فيخترع لذلك أسباباً ويلفّق أخباراً ،وهذه الأسطورة صيغت شعراً في البيتين المذكورين .

تفسير الشعر : النديم :الصاحب والصديق ،والحواني :جمع حانة، جاء في لسان العرب (حون):"الحانة:موضع بيع الخمر ، قال أبو حنيفة : أظنها فارسية وأن أصلها خانة " قلت :خانة بالفارسية بمعنى منزل أو بيت وهي مستعملة في العامية العربية مثل : أجزاخانة بمعنى بيت الدواء وكتبخانة :دار الكتب ، واستقل الصبحُ :أقبل وظهرت بوادره، والمقصود بالرداء في الشعر الجناحان .

وهذا الكلام كما قلنا من أساطير العرب القديمة وهي كثيرة، والحقيقة أن صياح الديك في وقت الفجر ليس لاستدعاء الغراب كما زعموا ، ولكنه لأمر خطير ،وهو رؤيتها الملائكةَ الذين ينزلون في هذه الساعة المباركة لشهود الصلاة والتماس أهل الذكر والدعاء.

وقد وردت بذلك الأحاديث الصِّحاح عن رسول الله نكتفي منها بما يخص صياح الديكة وقت الفجر ،ففي حديث أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم أنه قال :

"إذا سمعتم صياحَ الديكة فسلوا اللهَ من فضله ، فإنها رأت ملَكاً ،وإذا سمعتم نهيقَ الحمير فتعوذوا بالله من الشيطان

فإنها رأت شيطاناً "(رواه البخاري ومسلم وأحمد وأبو داود والترمذي ، انظر : صحيح الجامع : ٦١١)

أما الغراب فهو من الفواسق الخمس التي أمر رسول الله صلى الله عليه وسلّم بقتلها في الحل والحرم ،وفي حديث عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال :

"خمسٌ من الدوابِّ كلُّهن فاسقٌ ، يُقتلْن في الحَرَم : الغرابُ والحِدَأة والفأرةُ والعقربُ والكلبُ العقور "رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي ،انظر :صحيح الجامع :٣٢٤٨)

أما خَلْق الديك والغراب فهو كما هو لم يتغير منذ خلقهما الله تعالى حتى قيام الساعة ، والله أعلم .

٦- قال الأصمعي : اختلف رجلان في الصقر ،فقال أحدهما بالصاد وقال الآخر بالسين ،فتراضيا بأول وارد عليهما ،فحكيا له ما هما فيه فقال : لا أقول كما قلتما ، إنما هو الزقر " (المزهر للسيوطي : ٢٦٣/١).

في الخبر بيان الاختلاف في نطق اللفظ المذكور ،ويعود ذلك إلى لهجات العرب ،وكان أكبر خلاف بين اللهجات العربية – وما يزال – في الجانب الصوتي منها ،أي في طريقة نطق الحروف والكلمات ،ويتمثل ذلك في إبدال الحروف أو الفتح والكسر والإمالة والتفخيم والترقيق

...إلخ ،وخير ما يمثل هذه الأمور جميعاً القراءات القرآنية ،فهذه القراءات تحمل كثيراً من خصائص اللهجات العربية القديمة .

وحروف الصاد والسين والزاي متقاربة المخارج ويمكن التبادل بينها كما حدث في لفظ الصقر المذكور ،ومن ذلك في سورة الفاتحة لفظ الصراط ،فقد قريء فيه بالسين والزاي أي : السراط والزراط ، وكلها لهجات عربية معروفة ولكن الصاد في الصقر والصراط أفصح وأكثر استعمالاً.(راجع تفسير البحر المحيط : ٤٥/١ ط بيروت)

٧- عن أبي عثمان الأُشنانْدَاني قال :كنا يوماً في حلقة الأصمعي إذْ أقبل أعرابي يَرْفُلُ في الخُزُوز ، فقال : أين عميدُكم ؟ فأشرنا إلى الأصمعي ، فقال : ما معنى قول الشاعر:

لامالَ إلا العِطافُ تُوزِرُه أمُّ ثلاثينَ وابنةُ الجَبَلِ

لايرتقي النَّزُّ في ذَلاذلِه ولايُعدِّي نعليه عن بللِ

قال فضحك الأصمعي وقال :

عُصْرَتُه نُطفةٌ تضمّنها لِصبٌ تلقّى مواقعَ السُّبَلِ

أو وَجْبَةٌ من جَنَاةِ أَشْكَلةٍ إن لم يُرْغِها بالقوس لم تُنَلِ

قال : فأدبر الأعرابي وهو يقول : تا للهِ ما رأيت كاليوم عُضْلةً!
(المزهر :٥٩٠/١)

وهذا امتحان آخر تعرّض له الأصمعي فغلب خصمه ،حيث جاءه الأعرابي بهذا الشعر العويص ،فردّ عليه بما يناسبه من القصيدة نفسها ! وقد فُسر ذلك على النحو الآتي :

يصف الشاعر رجلاً خائفاً لجأ إلى الجبل يحتمي فيه ،ومعه عِطافه وهو السيف ،وأم ثلاثين وهي كنانة سهامه فيها ثلاثون سهماً ،وابنة الجبل يعني بها القوس ،لأنها تصنع من شجر ينبت في أطراف الجبال ،وهذا الرجل يحل مشكلته على النحو الآتي :

عصرته نطفةٌ : ملجأه إلى نقطة ماء تكون في اللصب وهو شق الجبل الذي تلقى نزول السَّبَل أي المطر ،ويأكل في اليوم وجبةَ طعام من جنى الأشكلة ،وهو ثمر السِّدْر الجبلي ،وهو ثمر يُنال بطرف قوسه .

وفي الخبر دليل على دقة الأصمعي وسعة علمه وتَبحّره في ثقافة العرب من الشعر والنثر .

من نوادر ابن الأعرابي

وهو محمد بن زياد أبو عبد الله بن الأعرابي ،وكان كوفياً حافظاً للشعر راوياً له ، وكان حسن الأخلاق جواداً كريماً ، واغتاب رجلٌ عنده بعضَ العلماء ،فقال له :لو لم تقلْ فينا ما قلتَ عندنا ،لاتجلس إلينا، ومن طريف أخباره :

٨- حدّث الصُولي قال :غُنّي في مجلس الواثق بشعر الأخطل:

وشاربٍ مُرْبِحٍ بالكأسِ نادمني   لابالحَصُور ولافيها بسَوّارِ

فقيل : بسوّار وبسآر ، فوجه إلى ابن الأعرابي – وهو حينئذٍ بسُرَّ مَنْ رأى– فسئل عن ذلك ،فقال :بسوّار يريد :بوثاب ،أي لايثبُ (في الأصل لايثبت وأحسبه غلطاً)على نُدمائه ،وبسآر ، أي لايُفضل في القدح سؤرَه،وقد رُويا جميعاً ،فأمر له الواثق بعشرة آلاف درهم "(بغية الوعاة :١/١٠٥-١٠٦).

الواثق :خليفةٌ عباسي ،والأخطل التغلبي شاعر أموي ، والحصور له معانٍ كثيرة ،والمراد به هنا ضيّق الصدر ،والسؤر : بقية الماء في الكأس بعد الشرب ، والسوْرة : المواثبة أي القفز على الشيء ، قال النابغة لما تهدده النعمان بن المنذر ، فاعتذر إليه بشعر جميل ، منه :

فبتُّ كأني ساورتْني ضئيلةٌ   من الرُّقْشِ في أنيابها السُّمُ ناقعُ

أي بات ليله خائفاً كأنما ساورته –أي واثبته –حية صغيرة رقشاء ملونة ، وهي ذات سم شديد ناقع ، وحين سئل ابن الأعرابي عن ذلك أجاب بجواز الوجهين "سَوّار وسآر"وهما صيغتا مبالغة على وزن فعّال الأولى من المساورة والثانية من الإسآر ،وهو إبقاء بقية الشراب في الكأس .

الوصف الجميل ،والألباء جمع لبيب وهو العاقل الفطِن ،ووصف الكتب بالجلساء الذين لايُمل حديثهم ، والعقلاء المأمونون من الكذب والخيانة والوشاية والتغير ...إلخ ، وهو يفيد منهم علوماً جمة وأدباً وعقلاً ،وليس من وراء صحبتهم مخافة تغيّر أو سوء عشرة ،وهذه الكتب كالناس نافعهم حي وإن مات ،وضارّهم ميت وإن طالت به الحياة ،والمفنّد : صعيف الرأي المكذّب.

۞ ۞ ۞

من نوادر ابن جنيٍّ

وهو اللغوي الكبير أبو الفتح عثمان بن جِنيٍّ ،عاش في الموصل وبغداد وتتلمذ لأبي على الفارسي ،وهو من كبار علماء العربية ومن أشهر كتبه الخصائص ،ومن نوادره :

١٠- قال : حضرني قديماً بالموصل أعرابي عقيليّ جونيّ تميمي ،يقال له محمد بن العسّاف الشّجَري ،وقلما رأيت بدوياً أفصحَ منه ،فقلت له يوماً شغفاً بفصاحته ،والتذاذاً بمطاولته ، وجرْياً على العادة معه في إيقاظ طبعه واقتداح زنْد فطنته :كيف تقول : أكرم أخوك أباك ؟ فقال : كذلك ، فقلت له : أتقول : أكرم أخوك أبوك ؟ فقال : لاأقول:"أبوك " أبداً ، فقلت : فكيف تقول : أكرمني أبوك؟ فقال :كذاك ،قلت : ألست تزعم أنك لاتقول "أبوك" أبداً؟ فقال :أيشٍ هذا ؟ اختلفت جهتا الكلام، فهل قوله: اختلفت جهتا الكلام إلا كقولنا نحن : هو الآن فاعل، وكان

في الأولى مفعولاً ؟ فانظر إلى قيام معاني هـذا الأمـر في أنفسـهم ، وإن لم تقطع به عبارتهم "(معجم الأدباء لياقوت الحموي :٤٧٥/٣ ط بيروت)

في الخبر بيان فصاحة الأعراب ومعرفتهم اللغة سليقةً ،أي بالاكتساب من البيئة لابالتعلم في المعاهد ،واستمرت فصاحتهم تلـك إلى عصـر ابـن جني في القرن الرابع الهجري أزهى عصور الحضارة الإسلامية بعد عصـر النبوة المبـارك ،ومعرفـة هـؤلاء الأعـراب للإعـراب والنحـو سـليقةً يـرد مزاعـم القـائلين بـأن الإعـراب مـن اخـتراع النحـاة ولم يكـن معروفـاً في العربية ، وهو قول تصدى له بعـض العلمـاء وفنّـدوه بـالحجج الدامغـة، وقول الأعرابي : أيشٍ هذا ، هو اختصار لجملة : أيُّ شيء هذا ؟

في مجلس ابن دريد

وهو أبو بكر محمد بـن الحسـن بـن دريـد ،ولـد بـالبصرة سنة ثلاث وعشرين ومائتين ،من كبار علماء العربية وحفظة الأخبار والأشعار ومن كتبه المشهورة معجم الجمهرة في اللغـة والاشـتقاق ومقصورتـه في مـدح الأمير أبي العباس الميكالي ،ومن نوادره :

١١- قال بعضُهم : حضرنـا مجلسَ ابـن دريـد ،وكـان يتضجّـر ممـن يخطيء في قراءته ،فحضر غلام وضيء ،فجعل يقرأ ويكـثر الخطأ ،وابـن دريد صابر عليه ،فتعجب أهلُ المجلس ،فقال رجل منهـم :لاتعجبـوا ؛إن

في وجهه غفرانَ ذنوبه ، فسمعها ابن دريد ، فلما أراد أن يقرأ قال: هات يامَنْ ليس في وجهه غفران ذنوبه ، فعجبوا من صحة سمعه ،مع علو سنه" (بغية الوعاة :٧٩/١) .

في الخبر بيان بعض طرق تلقي العلم في ذلك الزمان ،وهي القراءة على الشيخ ،وهو ما أثمر ثماره اليانعة في حضارة الإسلام إذْ ذاك ،وكان ذلك يتم بأن يختار الطالب الكتاب الذي يريد أن يقرأه على الشيخ من مؤلفات الشيخ أو غيرها ، ويصحح الشيخ للتلميذ ويناقشه في مسائل الكتاب وقضاياه فيتعلم الطالب اللغة والحوار والعلم معاً ... ويأخذ العلم من نبعه الصافي ،وقد ماتت هذه السنن في زماننا ، وأصبحت ترى الذين يحملون الشهادات العليا في اللغة العربية يلحنون ويعجز أكثرهم عن ضبط قراءته ،وذلك لأنه تعلم بالعين لا بالأذن ، بالقراءة لنفسه لا بالسماع على أساتذته ، والمشافهة ذات أثر عظيم في تعليم النطق السليم والعلم الثابت معاً .

أما ما حدث من تعجبهم من صبر ابن دريد على خطأ ذلك الغلام، فإنه قد انتشر في ذلك العصر الاتهام بالمُرْدان – جمع أمرد– وهو الغلام الذي لم يظهر له شارب أو لحية ،حتى قال الشعراء في ذلك وتغزلوا بالمذكّر ،وصار ذلك جزءاً من ثقافة ذلك العصر ، والذي يقرأ ديوان الحسن بن هانيء أبي نواس الشاعر العباسي المعروف يجده مليئاً بهذا السخف والعبث من الغزل بالمذكر وذكر أوصافه المأخوذة من صفات

النساء ، ولو كنا نستحل ذلك لأوردنا نماذج منه ، أما ابن دريد فلم يتهمْه أحد بذلك ،ولكنه حادث يسير ظنه بعضهم إعجاباً بذلك الغلام وقوله : يتضجّر : الضجر : هو السأم والملل ، وفيه بيان صبر العالم على الأذى حتى لو كان من المتعلم .

١٢- وقال ابن خالَوْيه في شرح مقصورة ابن دريد :كان ببغدادَ عبّاد بن عمرو الكِرْماني صاحب اللغة ،وكان يطعن على ابن دريد وينقضُ عليه الجمهرة ،فجاء غلام لابن دريد ، فجلس بحذائه في الجامع، ونقض على الكرماني جميع ما نقضه على ابن دريد ،فقال :اكتبوا : بسم الله الرحمن الرحيم ،قال أبو بكر بن دريد أعزّه الله تعالى : عَنَنْتَ الفرسَ إذا حبسته بعَنانه ، فإن حبسته بِقَوْدِه فليس بمُعَنٍّ ، قال الكرماني الجاهل :أخطأ ابن دريد ،لأنه إن كان من عننتَ فيجب أن يكون مَعْنوناً وإن كان من أعننتُ فيجب أن يكون مُعناً ، وأخطأ لكذا وكذا ، فوقف شاعر على الحلقة فقال : اكتبوا :

أذْلَلْت كِرْمانَ وعرّضتها | لجَحْفَلٍ مثلِ عديد الحصى
وابنُ دريد غُرّةٌ فيهمُ | في بحره مثلُك كم غوّصا
جثا على الركبة حتى إذا | أحسَّ نزْراً قعد القرفصا
وا للهِ إنْ عاد إلى مثلها | لأصفَعَنَّ هامتَه بالعصا

فلم يُلتفت إلى الكرماني بعد ذلك "(بغية الوعاة :١/٨٠)

العلمي فهو مستهدف للبحث عن سقطاته ، وقد قال الإمام الشافعي رحمه الله : أبى الله أن تكون العصمة إلا لكتابه .

●●●

في مجلس ابن الخشّاب النحوي

هو أبو محمد عبد الله بن أحمد المعروف بابن الخشاب ، كان من علماء اللغة والنحو ، ذا معرفة بالحديث والتفسير وغيرها من العلوم ، ومات في سنة سبع وستين وخمسمائة ، وكان ذا مزاح وفكاهة ، سأله شخص وعنده جماعة من الحنابلة : أعندك كتابُ الجبالِ ؟ فقال : يا أَبْلَهُ، أما تراهم حولي ؟ وسأله آخر عن القفا ، يُمدُّ أم يُقصر ؟ فقال له :يُمدُّ ثم يُقصر"

قلت : الحنابلة هم متبعو الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله في الفقه ، وأساس مذهبه الاعتماد على الحديث النبوي فيما لم يرد فيه قرآن ، ولذا جاء كتابه "المسند"من أكبر كتب الحديث النبوي وأهمها ،وبلغت أحاديثه ما يقرب من سبعة وعشرين ألف حديث ،واشتهر أتباع الإمام أحمد بالتشدّد في الفقه والفتوى، هكذا يراهم الناس ،ولكنها دعوى غير سليمة فيما نحسب، وشبههم ابن الخشاب بالجبال لذلك ، أما القفا وهو مؤخر الرأس والرقبة فهو مقصور ،ولكن ابن الخشاب مازح سائله بأن القفا يُمدّ للضرب ،فإذا ضُرب قُصر ، وهو معنى قوله: يُمد ثم يُقصر، وهو ماتراه حقيقة للمضروب على قفاه ، ومن نوادر ابن الخشاب :

١٣- قرأ عليه بعضُ المعلمين قولَ العجّاج :

أَطَرَباً وأنت قِنّسْرِيُّ   وإنما يأتي الصِّبا الصبيُّ

فقال : "وإنما يأتي الصبيَّ الصبيُّ " فقال : هذا عندك في المكتب،وأما عندنا فلا ، فاستحيى المعلمُ وقام "(بغية الوعاة :٢/٣٠)

قلت : القِنّسْرُ والقِنّسْريُّ : الشيخ الكبير المسن ، والطرب : خِفة تلحق الإنسان عند السرور أو الحزن ،والمراد به هنا السرور،وقد وردت الأبيات في اللسان هكذا :

أطــرباً وأنـت قـنسريُّ

والدهـرُ بالإنسانِ دوّاريُّ

أفنى القرونَ وهو قَعْسَرِيُّ

القعسري : القوي الشديد ،وطرباً : منصوب على أنه مفعـول مطلق لفعل محذوف ، والتقدير : أتطربُ طرباً ؟ والمراد : أتطرب هذا الطـربَ وأنت شيخ كبير مسن ، والصبـا واللهـو أمـور لا تكـون إلا للصبيـان ؟ وجملة "وأنـت قنسـري " جملة من مبتـدأ وخبر في محل نصب حـال ، والصِّبا: فترة المراهقة ، والصـبيُّ يطلق على الطفـل حتـى يبلـغ ، وأراد الشـاعر أن الـذي يـأتي الصبـا أي يحق لـه اللهـو واللعب هـو الصبي ، فالصبـا : مفعول به مقدم ، والصبيُّ : فاعل مؤخر ،ولكن المعلم لحن لحنـاً

غيّر معنى الكلام، ومن المعلوم أن الإعراب فرع المعنى ، أي حسب فهمك للمعنى يكون الوجه الإعرابي الذي تختاره ، فقال المعلم :إنما يأتي الصبيَّ الصبيُّ، والإتيان هنا بمعنى الجِماع والنكاح ، كما في قوله تعالى:

﴿ نساؤكم حرثٌ لكم فأتوا حرثَكم أنّى شئتم ﴾ (البقرة :٢٢٣)

وهذا المعنى غير مراد في البيت كما هو معلوم ،ولذا سخر ابن الخشاب منه وقال : هذا عندك في المكتب أي إن كان هذا يحدث فقد يكون عندك في صبيان المكتب ، أما في مجلسنا فلا .

ابن السَّرَاج والقراءات

وهو محمد بن أحمد بَصْخان بدر الدين بن السراج الدمشقي النحوي المتوفى سنة ٧٤٣هـ ، ومن أخباره :

١٤- قالوا : " وتصدّى بدمشق لإقراء القرآن والنحو ،وقصده الطلبة، وظهرت قصائده ، وبهرت معارفه ، وبَعُد صيتُه ، ثم إنه أقرأ لأبي عمرو بإدغام (الحمير لتركبوها) ورآه سائغاً في العربية والتزم إخراجَه من القصيد ، وصمم على ذلك ... وروجع فصمم ، فمُنع من الإقراء بذلك فتألّم وامتنع من الإقراء جملةً " (بغية الوعاة :١/٢٠)

قلت : الإدغام :إدخال حرف في حرف لاتحادهما أو تقاربهما في المخرج ، وذلك كثير في القرآن الكريم ، ولكن لم ترد قراءة فيها إدغام هذين الحرفين عند القراء المعروفين ، خصوصاً قراءة أبي عمر بن العلاء فليس فيها هذا الإدغام في قوله تعالى :

﴿والخيلَ والبغالَ والحميرَ لتركبوها وزينةً ﴾(النحل :٨)

وقد افتعل ابن السراج ذلك وهو غير جائز في القراءات ، أما شروط صحة القراءة القرآنية فقد أوضحها ابن الجزري في كتابه القيّم (النشر في القراءات العشر :١/ ١٠) بقوله : "كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً ، وصحّ سندها، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردّها ، ولا يحل إنكارها ، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها "

فشروط صحة القراءة إذن ثلاثة : أولها أن تكون موافقة لقواعد النحو العربي ولو بوجه جائز فيه ، والثاني : أن توافق القراءة أحد المصاحف العثمانية خطاً ، والمصاحف العثمانية هي التي أمر بنسخها الخليفة ذو النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه وبعث بها إلى الأمصار حين رأى بوادر الاختلاف في قراءة القرآن الكريم ، والمصاحف المطبوعة اليوم على ذلك الرسم العثماني ، والحمد لله الذي حفظ كتابه ،وللمصحف رسم خاص وطريقة خاصة في الكتابة، ولذا يقول العلماء : إن خط المصحف غير قياسي ، أي لا يجوز القياس عليه

في الكتابة العادية، ونحن نراه من باب إعجاز القرآن كذلك ، فهو متفرد في كل شيء حتى في طريقة كتابته ، ومن أمثلة موافقة القراءة للرسم العثماني قوله تعالى عن أهل سبأ:

﴿ فقالوا ربَّنا باعدْ بينَ أسفارِنا وظلموا أنفسَهم ﴾(سبا : ١٩)

فكلمة "باعد" رسمت هكذا "بٰعد"وبين الباء والعين ألف صغيرة فوقهما وقد وردت القراءات فيها على النحو الآتي :

أ- ربُّنا باعَدَ ، ربُّ : مبتدأ ، وباعد : فعل ماض مبني على الفتح وفاعله مستتر تقديره هو ، والجملة الفعلية في محل رفع خبر رب ، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول ، وهذه قراءة يعقوب .

ب - ربَّنا بَعِّدْ ، ربَّ : منادى مضاف منصوب ، و بَعِّدْ : فعل أمر يفيد الدعاء وفاعله مستتر وجوباً تقديره أنت ... وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو .

ج- ربَّنا باعِدْ ، هي قراءة حفص المعروفة لنا جميعاً ، وقد احتمل رسم الكلمة كل هذه القراءات ، وهذا من صور إعجاز القرآن الكريم.

أما الشرط الثالث فهو صحة سند القراءة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أي تكون مروية من جيل إلى جيل حتى تصل الرواية إلى النبي صلى الله عليه وسلم ،وعليه فإن القراءات من أهم علوم القرآن واللغة العربية .

ونعود إلى ابن السراج لنجده قد خالف أحد هذه الشروط وهو صحة الرواية المسندة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولذا أنكر عليه العلماء ومنعوه من الإقراء ، ولو فتح الباب لكل إنسان ليقرأ بما يراه جائزاً لتحرّف القرآن ، وقد صانه الله تعالى عن ذلك إلى يوم الدين،وإدغام الراء من كلمة الحمير في اللام من كلمة لتركبوها صعب من الناحية الصوتية ويقتضي تسكين الياء من الحمير وكذلك الراء ليمكن إدغامها ، وفيه تعسّف وصعوبة ظاهرة ، والله أعلم .

أبوالأسود الدؤلي والنحو العربي

وهو تابعي صحب علياً بنَ أبي طالب رضي الله عنه ، وتواترت عدة روايات تفيد أنه أول من تكلم في علم النحو ، ومن ذلك ما جاء من أنه جاء إلى زياد بن أبيه والي معاوية على البصرة فقال : إني أرى العرب قد خالطت الأعاجم وتغيرت ألسنتهم ، أفتأذن لي أن أضع للعرب كلاماً يعرفون أو يقيمون به ألسنتهم ؟ قال : لا ، فجاء رجل إلى زياد فقال : أصلح الله الأمير، توفي أبانا وترك بنونا ، فقال زياد :توفي أبانا وترك بنونا !!ادعُ لي أبا الأسود ، فقال :ضع للناس الذي نهيتك أن تضع لهم.

والخطأ الذي وقع الرجل فيه صوابه : توفي أبونا وترك بنين ، ومن أخبار أبي الأسود النحوية :

١٥- قالت له ابنته يوماً : ياأبتِ ، ما أحسنُ السماءِ ؟ فقال : أيْ بنيةُ، نجومُها ،قالت :إني لم أردْ أيُّ شيء منها أحسنُ ، إنما تعجبت من حسنها،قال:إذن فقولي : ما أحسنَ السماءَ"(أخبار النحويين البصريين :١٤)

قلت : تحتمل الجملة حسب المعنى والإعراب ما يأتي:

أ- ما أحسنُ السماءِ ؟وهي جملة استفهامية،ما: في محل رفع مبتدأ،وأحسنُ : خبره ، والسماء : مضاف إليه ، وهو ما نطقت به ابنة أبي الأسود ، فأجابها بأن أحسن ما في السماء نجومها .

ب - ما أحسنَ السماءَ ، وهذه جملة تعجبية : ما في محل رفع مبتدأ ، أحسنَ :فعل ماض جامد للتعجب مبني على الفتح ، وفاعله مستتر وجوباً تقديره هو يعود على المبتدأ ، والجملة الفعلية في محل رفع خبر ما والسماءَ : مفعول به منصوب بالفتحة الظاهرة .

وإذا كانت الجملة "ما أحسن خالد " احتملت الوجهين السابقين ، ووجهاً ثالثاً هو : ما أحسنَ خالدٌ ،فتكون ما نافية ، وأحسن فعل ماض مبني على الفتح وخالد فاعله ، والجملة تفيد نفي إحسان خالد .

۞ ۞ ۞

إهانة أبي العلاء المعري

وهو الشاعر الأديب الكاتب المعروف ، أصله من الشام ، ورحل إلى بغداد ولكن لم تطب له الإقامة فيها ، فعاد إلى معرَّة النعمان من قرى حَلَب في سوريا ، فأقام في بيته لا يبرحه ، وكانت تأتيه طلبة العلم من كل حَدَب وصَوْب ، وكان زاهداً متقشفاً ، واتُهِم في دينه ، وا لله أعلم بصحة ذلك ، وحسابه وحسابنا عند ا لله تعالى ، إنما نأخذ من علمه ما ينفع ، وكان يحب المتنبي شاعر العربية الأكبرَ ويتعصّب له ، وله شرح على ديوانه سَمّاه "مُعجِز أحمدَ" وما حدث له في بغداد من إهانة كانت بسبب المتنبي ، وهي :

١٦- دخل يوماً على أبي القاسم المرتضى ،فعَثُر برجل ، فقال: مَنْ هذا الكلبُ ؟ فقال أبو العلاء : الكلبُ من لا يعرف للكلب سبعين اسماً فسمعه المرتضى ،فأدْناه واختبره ، فوجده عالماً مشبعاً بالفطنة والذكاء فأقبل عليه إقبالاً كثيراً ، وكان يتعصّب للمتنبي ويفضله ، وكان المرتضى يتعصب عليه ،فجرى ذكره يوماً فتنقصّه المرتضى ، فقال المعري: لو لم يكن للمتنبي من الشعر إلا قوله :

لكِ يامنازلُ في القلوبِ منازلٌ

لكفاه فضلاً ، فغضب المرتضى ، وأمر به فسُحب برجله وأُخرج ، وقال : أتدرون ما قصد بهذه القصيدة ؟ فإن للمتنبي أجود منها ، فقالوا : لا ، قال : أراد قوله فيها :

وإذا أتتْك مذمتي من ناقصٍ   فهي الشهادةُ لي بأني كاملٌ

(معجم الأدباء : ١/٤٠٦، وبغية الوعاة : ١/٣١٦)

قلت : ما كان ينبغي للشريف المرتضى فعل ذلك وهو الكريم من سلالة الكرام ، إذ هو من سلالة الإمام علي رضي الله عنه ، وكان معروفاً بالسخاء والكرم ، وكان أديباً وشاعراً وكاتباً ....ولولا أنه صرّح بما أراد أبو العلاء ما عرف ذلك أحد من جلسائه ، ولمرّ الأمر بغير هذه الإهانة ، ومما يدل على كرم المرتضى هذه القصة ،حيث حكى الخطيب التبريزي أن أبا الحسن الغالي الأديب كانت له نسخة لكتاب الجمهرة "لابن دريد " في غاية الجودة ،فدعته الحاجة إلى بيعها فباعها ، واشتراها الشريف المرتضى بستين ديناراً ، وتصفحها فوجد فيها أبياتاً بخط بائعها وهي :

أَنِسْتُ بها عشرين حَوْلاً وبعْتُها   فقد طال وجدي بعدها وحنيني

ومـــا كان ظني أنني سأبيعُها   ولو خلّدتني في السجون ديوني

ولكنْ لضعف وافتقارٍ وصبية   صـــغارٍ عليهم تستهلُّ شئوني

فقلت ولم أملكْ سوابقَ عَبْـرة   مقالةَ مكويّ الفؤاد حـــزينِ :

وقد تُخرِجُ الحاجاتُ ياأمَّ مالكٍ   كـــرائمَ من رب بهن ضنـــين

قال : فأرسلها المرتضى وأرسل معهـا أربعين دينـاراً أخرى ، رحمهـم الله تعالى ...(هامش البغية : ١/٧٨)

وفي الخبر بيان حبهم للكتب وتقديرهم لها ، إذ هـي أسـاس الحضـارة ومستودعات العلوم .

حبّ الأنباري للعلم

وهو محمد بن القاسم بن محمد بن بشار أبو بكر بن الأنباري النحـوي اللغوي ، كان حافظاً كثير الحفظ ، قيل إنـه كـان يحفـظ مائـة وعشـرين تفسيراً للقرآن الكريم بأسـانيدها ! ومـع ذلـك فقـد ذكـروا مـن بخلـه ، قالوا: وقف عليه رجل يوماً فقال له : أجمع أهلُ سبعِ فراسخَ على شـيء فأعطني درهماً حتى أفارق الإجماع ، فقال : مـا هـذا الإجمـاع ؟ فقـال : على أنك بخيلٌ ، فضحك ولم يعطه شيئاً ! والفرسخ ثلاثة أميال أو عشرة آلاف ذراع تقريباً ، ويبدو أن السائل عرف بخل الرجل فمازحه بذلك، والبخل جِبِلّة ويحتاج إلى صبر ومـران للتخلـص منـه ، أمـا الدليـل علـى حب الأنباري للعلم فهذه الواقعة :

١٧- رأى الأنباري يوماً بالسـوق جاريـة حسـناء ، فوقعـت في قلبـه فذكرها للراضي -الخليفة العباسي - فاشتراها وحملها إليه ، فقـال لهـا : اعتزلي إلى الاستبراء قال : وكنت أطلب مسـألةً فاشـتغل قلـبي ،فقلـت

للخادم: خذها وامض بها ، فليس قَدْرُها أن تشغل قلبي عن علمي ، فأخذها الغلام،فقالت له: دعني أكلمْه بحرفين ، فقالت له :أنت رجل لك محلٌّ وعقل ، وإذا أخرجتني ولم تبيّن ذنبي ، ظنَّ فيَّ الناسُ ظناً قبيحاً ، فقال لها : مالكِ عندي ذنبٌ غير أنكِ شغلتني عن علمي ، فقالت :هذا سهل ، فبلغ الراضي ، فقال : لاينبغي أن يكون العلم في قلب أحد أحلى منه في صدر هذا الرجل "(بغية الوعاة :٢١٣/١)

قلت : لقد شهدت الحضارة الإسلامية مثل هذا الرجل آلافاً مؤلفة من العلماء الذين وهبوا أنفسهم لطلب العلم ونشره ، وهذا الرجل تأتيه الدنيا والجمال ثم يعرض عن ذلك لاشتغال قلبه وفكره بالعلم !

أعرابي يسخر من النحو والنحاة

كان أبو زيد الأنصاري من علماء اللغة والنحو ، وله تلاميذه وحلقته وكان علم النحو صعباً – وما يزال – خصوصاً على الأعراب الذين يتكلمون بالسليقة وعلى البديهة ويصعب عليهم تقبل مصطلحات النحاة ، وقد سُئل أعرابي : أتجرُّ فلسطينَ ؟ فقال : إني إذن لقوي ، وذلك أن السائل ذهب إلى الجر بالكسرة وهي ممنوعة من الصرف فتجر بالفتحة نيابة عن الكسرة ، ولم يفهم الأعرابي مصطلح الجر النحوي وإنما فهم الجر بمعناه اللغوي ،ومن نوادرهم في هذا الشأن :

١٨ –وقف أعرابي على حلقة أبي زيد جادياً ، أي مستميحاً فظن أبو زيد أنه جاء ليسأل مسألة في النحو ، فقال له أبو زيد : سلْ يا أعرابي عما بدا لك ، فقال على البديهة :

لستُ للنحو جئتُكم لا، ولافيه أرغبُ
أنا مالي ولامرىءٍ أبدَ الدهرِ يُضربُ
خلِّ زيداً لشأنـــه حيثُما شاء يذهبُ
واستمعْ قولَ عاشقٍ قد شَجَاه التطَرُّبُ
همُه الدهرَ طِفـــلةٌ فهو فيها يُشـــبِّبُ

(أخبار النحويين البصريين : ٤٢–٤٣)

الجادي : طالب الصدقة والعطاء ، والتطرب : الطرب واللهو ، والتشبيب : التغزل بذكر النساء وأخبارهن ، وأبيات الأعرابي تمثل جانباً من جوانب الثقافة الإسلامية آنذاك ، لقد صار النحو مشغلة المثقفين ، فكل العلوم تبدأ منه ، لأنه أساس تقويم اللسان ، وتقويم البيان ، ولكن الأعرابي لايعرف هذه القواعد المفصلة ، وإنما يتكلم على سجيته ، ولذا سخر من النحاة ، ومن أمثلتهم الجافة المصنوعة التي لاتخلو من زيد وعمرو ضاربين ومضروبين ...إلخ ، أما قوله "أبدَ " فهو منصوب على الظرفية الزمانية ، وكذلك "الدهرَ" في البيت الأخير.

من أخبار أبي حاتم السجستاني

وهو سهل بن محمد بن عثمان من علماء البصرة ، وهو من علماء اللغة والنحو والحديث والتفسير والقراءات ، وتوفي سنة خمس وخمسين ومائتين ، ومن نوادره :

١٩- دخل أبو حاتم بغدادَ ، فسُئل عن قوله تعالى ﴿ قُوا أنفسَكم﴾ ما يقال منه للواحد ؟ قال : قِ ، فقال : فالاثنين ؟ فقال: قِيَا ، قال: فالجمع ؟ قال : قوا ، قال : فاجمع لي الثلاثة ، قال : قِ ، قيا ، قُوا ، قال: وفي ناحية المسجد رجل جالس معه قماش ، فقال لواحد : احتفظ بثيابي حتى أجيءَ ، ومضى إلى صاحب الشرطة ، وقال : إني ظفرت بقوم زنادقة يقرأون القرآن على صياح الديك ، فما شعرنا حتى هجم علينا الأعوان والشرطة ، فأخذونا وأحضرونا مجلس صاحب الشرطة ، فسألَنا فتقدمت إليه وأعلمته الخبر ، وقد احتمع خلْق من خلق ا لله ينظرون ما يكون ، فعنفني وعَذَلني ، وقال : مثلُك يطلق لسانه عند العامة بمثل هذا ؟ وعمد إلى أصحابي فضربهم عشرةً عشرةً، وقال : لاتعودا إلى مثل هذا ، فعاد أبو حاتم إلى البصرة سريعاً ، ولم يقم ببغدادَ ولم يأخذ عنه أهلها .(بغية الوعاة :١/٦٠٦)

كانت بغداد في ذلك العصر تموج وتضطرب كالبحر الهائج بالناس من كل جنس ولون وملة ، وفيها المذاهب والملل والنّحَل ...وكلٌ يريدُ أن يتقدم ويسبق ، وأراد أبو حاتم أن يلقي بنفسه في هذا البحر الهائج

من أخبار أبي حاتم السجستاني

وهو سهل بن محمد بن عثمان من علماء البصرة ، وهو من علماء اللغة والنحو والحديث والتفسير والقراءات ، وتوفي سنة خمس وخمسين ومائتين ، ومن نوادره :

١٩- دخل أبو حاتم بغدادَ ، فسُئل عن قوله تعالى ﴿ قُوا أنفسَكم﴾ ما يقال منه للواحد ؟ قال : قِ ، فقال : فالاثنين ؟ فقال: قِيَا ، قال: فالجمع ؟ قال : قوا ، قال : فاجمع لي الثلاثة ، قال : قِ ، قيا ، قُوا ، قال: وفي ناحية المسجد رجل جالس معه قماش ، فقال لواحد : احتفظ بثيابي حتى أجيءَ ، ومضى إلى صاحب الشرطة ، وقال : إني ظفرت بقوم زنادقة يقرأون القرآن على صياح الديك ، فما شعرنا حتى هجم علينا الأعوان والشرطة ، فأخذونا وأحضرونا مجلس صاحب الشرطة ، فسألَنا فتقدمت إليه وأعلمته الخبر ، وقد احتمع خلْق من خلق الله ينظرون ما يكون ، فعنفني وعَذَلني ، وقال : مثلُك يطلق لسانه عند العامة بمثل هذا ؟ وعمد إلى أصحابي فضربهم عشرةً عشرةً، وقال : لاتعودا إلى مثل هذا ، فعاد أبو حاتم إلى البصرة سريعاً ، ولم يقم ببغدادَ ولم يأخذ عنه أهلها .(بغية الوعاة :١/٦٠٦)

كانت بغداد في ذلك العصر تموج وتضطرب كالبحر الهائج بالناس من كل جنس ولون وملة ، وفيها المذاهب والملل والنِّحَل ...وكلٌّ يريدُ أن يتقدم ويسبق ، وأراد أبو حاتم أن يلقي بنفسه في هذا البحر الهائج

الهادر ... ولعل ما حدث له كان حدثاً مدبراً لإبعاده عن بغداد ، إذ المسألة في ذاتها يسيرة على ما سنبين .

سئل أبو حاتم عن فعل الأمر من وقى للمفرد فقال : قِ ، وهذا الفعل يسمى اللفيف المفروق ، أي أوله وآخره حرف علة ، فيحذف أوله للإعلال ، وآخره لبنائه على حذف حرف العلة والتعويض عنه بالكسرة فإذا جمعت ما للمفرد والمثنى والجمع منه في اللفظ صار أشبه بصياح الديك ، أما الآية فهي من سورة التحريم ، قال تعالى :

﴿ ياأيها الذين آمنو قوا أنفسَكم وأهليكم ناراً وقودُها الناسُ والحجارةُ عليها ملائكةٌ غِلاظٌ شِدادٌ لايعصون اللهَ ما أمرهم ويفعلون ما يُؤمرون ﴾ (التحريم :٦)

٢٠- ودخل رجل على أبي حاتم وعلى كتفه صبي ، فقال له: يا أبا حاتم : ما تسمي العربُ الرجلَ إذا كان في فَرْد رِجْله خُفٌّ وفي الآخر نعلٌ ؟ قال : لاأدري ، قال :صدقت ، لأن فوق كل ذي علم عليماً ، يقالُ له مُخْفَنْعِلٌ ياغلام ، فضحك أبو حاتم حتى شَرِق بريقه "(مراتب النحويين : ١٣٢)

قلت : وإنما ضحك أبو حاتم لأن هذا الرجل اخترع الوصف والكلمة ، إذْ لا وجود لهذه الكلمة في المعاجم ، ولعل الرجل كان يمزح بذلك ، أو لعله ظن ذلك جائزاً من باب النحت ، وهو باب معروف في العربية ، وسنذكر هنا نبذة موجزة عنه .

النحت في اللغة أن تعمد إلى كلمتين فتمزج حروفهما لتصنع منهما كلمة واحدة تدل على معنى الكلمتين معاً ومن ذلك عند العرب : عَبْشمي وأصلها : عبد شمس ، وجُلْمود وهو الصخر القوي وأصله من جَمدَ وجَلَد ، وقد يكون النحت من جملة كما تقول : بسمل أي قال : بسم الله الرحمن الرحيم ، ومثله كبّر إذا قال : الله أكبر ، وهلل إذا قال : لا إله إلا الله ، ومثله في العامية المعاصرة : دَرْعمي للمتخرّج من دار العلوم ، على سبيل المثال .

۞ ۞ ۞

سؤال لأبي سعيد الضرير

وهو من علماء اللغة والنحو والتفسير ، رحل من بغداد إلى نَيْسَابورَ (من بلاد فارس) فأقام بها يعلم ويؤدب ، ومن نوادره :

٢١- قال :سألني أبو دُلَفٍ عن بيت امريءِ القيس :

كَبِكْرِ المقاناةِ البياضُ بصُفْرةٍ

قال : أخبرني عن البكر : هي المقاناةُ أم غيرها؟قال : قلت : هي ، قال : أفيضاف الشيءُ إلى صفته ؟ قلت : نعم ، قال : وأين ؟ قلت : قد قال الله تعالى ﴿ولدارُ الآخرةِ﴾ فأضاف الدار إلى الآخرة وهي هي بعينها ، والدليل على ذلك أنه قال في سورة أخرى﴿وللدارُ الآخرةُ﴾ قال : أريد أن أشفى من هذا ، فأنشدته لجرير :

ياضبُّ إنَّ هوى القُيونِ أضلكم كضلال شيعةِ أعورِ الدَّجال

(معجم الأدباء : ١/٣٥٢)

قلت :ورد قول امريء القيس في اللسان (قنا) هكذا :

كبِكْرِ المُقَاناةِ البياضُ بصُفْرَةٍ غَذَاها نَميرُ الماءِ غيرَ مُحَلَّلِ

والبكر : أول كل شيء ، والمقاناة : خلط لون بلون آخر ، وهي في النسْج : خيط أبيض وخيط أسود ، والماء النمير : العذب ، والشاعر يصف دُرّة أو جوهرةً فيشبهها بما يشيع في بيئته آنذاك وهو بيض النعام فيقول إن هذه الدرة أو الجوهرة تشبه البيضة البكر الأولى للنعامة ، وهي التي يخالط بياضَها صُفْرةٌ فتكون فيها المقاناة ،أي خلط لون بلون ، والكاف في "كبكر "للتشبيه ، كأن الشاعر أراد كالبيضة البكر المقاناة ، أي مختلطة البياض بصفرة ولكنه حذف الألف واللام من البكر وأضاف المقاناة إليه ، فتحول التركيب من تركيب وصفي (صفة وموصوف) إلى تركيب إضافي (مضاف ومضاف إليه) وهذا أمر شائع في العربية ، وقد ذكر له أبو سعيد الشواهد الآتية :

١- قوله تعالى﴿ ولَدَارُ الآخرةِ خيرٌ للذين اتقوا أفلاتعقلون﴾ (يوسف :١٠٩) الواو :حرف عطف ، واللام : حرف ابتداء يفيد التوكيد ، دارُ : مبتدأ مرفوع بالضمة الظاهرة ، وهو مضاف،والآخرة : مضاف إليه مجرور بالكسرة الظاهرة ، خيرٌ : خبر مرفوع بالضمة الظاهرة ،والشاهد إضافة الصفة للموصوف ، والأصل : الدار الآخرةُ ،

وقد ورد التركيب الوصفي في آيات كثيرة منها ﴿ والدارُ الآخرةُ خيرٌ للذين يتقون أفلا تعقلون﴾ (الأعراف:١٦٩) .

ومنها ﴿ وإنّ الدارَ الآخرةَ لهي الحيوانُ لو كانوا يعلمون﴾ (العنكبوت :٦٤) فكلا الوجهين :الإضافة والوصفية جائز فصيح ، وهو يدل على سعة اللغة العربية وكثرة أساليبها وفنونها .

٢- ومثل لذلك أيضاً بقول الشاعر الأموي جرير :

ياضبُّ إنّ هوى القُيون أضلكم كضلال شيعةِ أعورِ الدجّالِ

الضبُّ : حيوان صحراوي معروف ، ويبدو أن الشاعر نبز به رجلاً معروفاً ، والقيون : جمع قَيْن وهو عند العرب الحدّاد وكل من يصنع شيئاً يتصل بالحديد ، أما شيعة الدجال فهم أتباعه حين يخرج ،والأصل : شيعة الأعور الدجّال بالتركيب الوصفي ، فحوله الشاعر إلى تركيب إضافي فقال : أعور الدجال ، وللدجال هذا قصص وأحاديث كثيرة وردت في الأحاديث الصحاح ، فليراجعْها من شاء في مظانّها ، وخلاصة أمره أنه مخلوق كافر سيظهر آخر الزمان وهو أعور العين اليمنى مكتوب بين عينيه "كافر" ومعه خوارق وأشياء تشبه المعجزات يُضل بها الناس ليتبعوه ، فتكون له شيعة أي أتباع ومناصرون أكثرهم من اليهود ثم ينتشر أمره ويدخل كل البلاد ما عدا مكة والمدينة ، حتى يقتله المسلمون إن شاء الله ، وذلك قبل قيام الساعة ، وقد ورد بشأنه

عشرات الأحاديث الصحاح ، ولو ذكرناها لطال بنا الأمر وخرجنا عن هدف الكتاب وموضوعه .

وقد ورد هذا التركيب اللغوي الذي شرحناه كذلك في الأحاديث النبوية ، ومن ذلك حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلّم قال :

" لاتُشدُّ الرِّحالُ إلا إلى ثلاثةِ مساجدَ : المسجدِ الحرامِ ، ومسجدِ الرسول صلى الله عليه وسلّم ومسجدِ الأقصى " (رواه البخاري ، الحديث : ١١٨٩)

وهو بهذا اللفظ الذي ذكرته في البخاري "مسجد الأقصى" والمعنى أن المسلم لايتهيأ ولا يتجهّز ولايشدُّ رحاله إلا إلى واحد من هذه المساجد الثلاثة لفضل الصلاة فيها وزيادة ثواب الصلاة فيها على الصلاة في غيرها ، وشاهدنا من الحديث قوله "مسجد الأقصى"والأصل: المسجد الأقصى، قال ابن حجر رحمه الله في شرح ذلك:" وقوله. مسجد الأقصى أي بيت المقدس ، وهو من إضافة الصفة إلى الموصوف" (فتح الباري : ٧٨/٣) والله أعلم .

وجوب أخذ العلم عن أهله

ويتضح ذلك من هذه الواقعة التي حدثت لأبي عبد الله الفهري تلميذ أبي علي القالي صاحب الأمالي المعروف ، وهي :

٢٢- قال : دعاني يوماً رجل من إخواني إلى حضور عُرس له أيام الشبيبة والطلب ، فحضرت مع جماعة من أهل الأدب ، وفيهم ابنُ مِقْسَم الرامي ، وكان صاحب نوادر ، فقال : يامعشر أهل الإعراب واللغة والآداب ، ويا أصحاب أبي علي البغدادي ، أريد أن أسألكم عن مسألة ، حتى أرى مقدار علمكم وسعة جمعكم ،فقلنا له : هات ، فقال: ماتسمى الدُّوَيْبَةُ السوداء التي تكون في الباقِلاّء عند أهل اللغة العلماء ؟ فأفكرْنا ثم قلنا له : ما نعرف ، فقال : سبحان ا لله ! هذا ، وأنتم الضابطون للناس لغتهم بزعمكم ؟ فقلنا له : أَفِدْنا ، فقال : هذه تسمى البَيْقُران ، فعددتها فائدةً ، فبينَا نحن بعد مدة عند أبي علي إذ سألنا عن هذه المسألة بعينها ، فأسرعت الإجابة ثقة بما جرى فقلت : تسمى البيقران ، فقال : من أين تقول هذا ؟ فأخبرته ، فقال :إنا لله ! رجعت تأخذ اللغة عن أهل الرمي ؟! وجعل يؤنبني ،ثم قال :هي الدُّنْقَسُ فتركت روايتي عن ابن مقسم لروايتي عن أبي علي "(بغية الوعاة :٢/٧٠)

قلت : هذا من مزاح ابن مقسم لاشك ، والبيقران هذه كلمة نادرة وفيها شك ، ولم أجد عنها في لسان العرب إلا قوله : والبيقران : نبت ، قال ابن دريد : ولا أدري ما صحته"(اللسان والقاموس المحيط : بقر) ولم أجد لفظ الدنقس " في اللسان ولا في القاموس ،فلعلها ألفاظ خاصة أو نادرة الاستعمال ، وفي الخبر بيان وجوب أخذ العلم عن أهله المعروفين به ، قال تعالى ﴿ فاسألوا أهلَ الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ (الأنبياء :٧) وهذا عام في كل شيء ، وا لله أعلم .

من نوادر أبي عثمان المازني وأخباره

وهو بكر بن محمد بن بقية بن حبيب المازني ، من أئمة اللغة والنحو ، سكن البصرة ، وحكى المبّرد أن يهودياً بذل للمازني مائة دينار ليُقرئه كتاب سيبويه ، فامتنع من ذلك ، فقيل له : لم امتنعت مع حاجتك وعائلتك ؟ فقال : إن في كتاب سيبويه كذا وكذا آيةً من القرآن ، فكرهت أن أقرأ القرآن لأهل الذمّة ، فلم يمض بعد ذلك إلا مُديدة حتى طلبه الواثق ، وأخلف الله عليه أضعاف ما تركه لله ، وكان سبب ذلك هذه الواقعة :

٢٣- غنّت جارية بحضرة الخليفة العباسي الواثق :

أظلومُ إن مصابَكم رجلاً أهدى السلامَ تحيةً ظلمُ

فرد التَوَّزيُّ عليها نصب "رجل" ظاناً أنه خبر إن ،فقالت : لا أقبلُ هذا ولاغيره ، وقد قرأته كذا على أعلم الناس بالبصرة أبي عثمان المازني ، فأُحْضِر ... قال : فلما دخلت على الخليفة قال : ممن الرجلُ ؟ قلت : من بني مازن ، قال : مازن تميم أم مازنُ شيبانَ ؟ قلت : مازن شيبان ، فقال لي : با اسمك ؟ يريد : ما اسمك ؟ وهو لغة قومنا ، يبدلون الميم باءً وعكسه ، فكرهت أن أقول : مكر ، مواجهة له بالمكر ، قلت : بكر بن محمد ، فأعجبه ذلك ، وقال لي : اجلس فاطبئنّ ، أي اطمئن ، فجلست فسألني عن البيت ، فقلت : صوابه : رجلاً ، فقال : ولم ؟ فقلت: إن مصابَكم مصدر بمعنى إصابتكم ، فأخذ التوزي في معارضتي ،

فقلت : هو بمنزلة قولك : إن ضربَك زيداً ظلم ، فالرجل مفعول مصابكم ، وظلم الخبر ، والدليل عليه أن الكلام معلق إلى أن تقول : ظلم ، فيتم ، فقال التوَّزي : حسبي ، وفهم ، واستحسنه الواثق ، وقال: من خلّفت وراءك ؟ قال :خلّفت أُخيةً لي أصغر مني ، أقيمها مقام الولد ، قال : فما قالت لك حين خرجت ؟ قال : طافت حولي وهي تبكي ، وقالت : أقول لك ياأخي كما قالت بنت الأعشى لأبيها :

تقول ابنتي حين جَدَّ الرحيلُ   أرانا سواءً ومَنْ قد يَتِمْ

أبانا فلا رِمْتَ من عندنا   فإنا بخيرٍ إذا لم تَرِمْ

ترانا إذا أضمرتْك البلادُ   نُجْفَى ويقُطعُ منا الرحمْ

قال : فما قلت لها ؟ قال : قلت : أقول لك يا أخية كما قال جرير لابنته : ثِقي با لله ليس له شريكٌ   ومن عند الخليف بالنجاح

فقال : لاجَرَمَ ، إنها ستنجح ، وأمر لي بثلاثين ألفَ درهم"

(بغية الوعاة :١/٤٦٤-٤٦٥، وأخبار النحويين :٥٧-٥٩، ومراتب النحويين :١٢٧)

قلت : أوردت الخبر على طوله لما فيه من فوائد ،ففيه بيان اهتمام الخليفة بالأمر على بساطته ، وعلمه بلهجات القبائل مع كثرتها وتنوعها وإكرامه للرجل بعد ما عرف منه الوجه في نصب الكلمة المذكورة ،

والحقيقة أن المصدر يعمل عمل فعله بشروط توفرت في هذا البيت ، ومنها إضافة المصدر إلى فاعله الأصلي فينصب مفعولاً به كقوله تعالى عن اليهود ﴿ فبما نقضهم ميثاقَهم لعنّاهم﴾ (المائدة:١٣) أي بسبب نقضهم الميثاق المأخوذ عليهم حلّت عليهم لعنة الله تعالى ، الفاء : حرف عطف والباء: حرف جر ، وما حرف زائد لتوكيد المعنى لامحل له من الإعراب، نقضِ : اسم مجرور بالكسرة ، وهو مصدر يعمل عمل الفعل وهو مضاف ، هم : ضمير مبني في محل جر مضاف إليه وهم هو الفاعل في المعنى لكنه ورد مجروراً في اللفظ ، ميثاقَ: مفعول به للمصدر منصوب بالفتحة الظاهرة ، وهو مضاف والضمير في محل جر مضاف إليه ، فالمصدر هنا عامل عمل فعله في نصب المفعول به ، وجملة "أهدى السلام "في البيت في محل نصب صفة لرجل ، وتحيةً : مفعول لأجله منصوب ، أما قول الأعشى فقوله : يتم : أصابه اليتم وهو فقد الوالد قبل بلوغ الأبناء ، والرَّيْمُ : البَراحُ أو مغادرة المكان ، وما رِمْتَ : أي ما بَرِحْت أو ما تركت المكان ، والجفاء والجفوة : الانقطاع والتباعد ، وفي الخبر بيان إكرام الخليفة للعلماء ، رحمهم الله أجمعين .

٢٤- وقال أبو عثمان المازني :سمعت أبا زيد يقول : قيل للحسن البصري : يا أبا سعيد ، أَيُدَالِكُ الرجلُ امرأته ؟ قال : لابأس إذا كان مُلْفَجاً "(أخبار النحويين :٦١)

قلت : الملفَج : المفلسُ ، والمدالكة : المماطلة في سداد الدَّيْـن ، يقـال في اللغة : دلكتُ الشيءَ أدْلكه دلكاً :مرسته وعركته ، وهو بمعنى إمرار اليد على الشيء لتدليكه ، هذا هو الأصل اللغوي ، ثم إن المعاني تتوالد وتتكاثر ، فصارت المدالكة بمعنى المماطلة ، وفي لســان العرب (دلـك): " قال أبو عبيدة : يُدالك : يعني المطل بالمهر ، وكل مماطل فهو مدالك " ولعل سائل الحسن إنمـا أراد الإلغـاز بذلـك ، إذ المتبـادر إلى الذهـن مـن السؤال هو التدليك بمعنى إمرار اليد على الجسم أو نحـوه ، والـرد يـدل على ذكاء الحسن رحمه الله .

❁ ❁ ❁

أبو علقمة واستعمال الألفاظ الغريبة

وهو أبو علقمـة النحـوي مـن أهـل واسـط بـالعراق ، كـان يتقعّـر في كلامه ويستعمل الحوشيَّ من الكلام والغريب ، وكان أبو علقمة يتعمد ذلك ويختار ألفاظاً لايعرفها أكثر الناس ، وأكثر مايُروى من أخبـاره مـن هذا اللون ، ومن ذلك :

٢٥–وقع أبو علقمة من على دابته فاجتمع الناس إليه فقال: ما لكـم تَكَأْكَـأْتم علـيَّ كمـا تتكأكـأون علـى ذي جِنّـة ؟ افرنْقِعُـوا عـنـي " (بغية الوعاة :٢/١٣٩)

تكأكأ : اجتمع ، وذو الجنة : المجنون ، وافرنقع : تفرق وتباعد ، وكان بإمكانه أن يقول ذلك بيسر وسهولة ، ولكنه اختار هذه الألفاظ الغريبة التي صار يُضرب بها المثل من بعده .

٢٦- وقال ابن جني : مَرّ أبوعلقمة يوماً على عبدين حبشي وصَقْلبي ، فإذا الحبشيُّ قد ضرب بالصقلبي الأرضَ ، فأدخل ركبتيه في بطنه ، وأصابعه في عينيه ، وعض أذنيه ، وضربه بعصا فشجّه وأسال دمَه ، فقال الصقلبي لأبي علقمة : اشهدْ لي ، فمضوا إلى الأمير ، فقال له الأمير : بمَ تشهد ؟ فقال : أصلح الله الأمير ، بينا أنا أسير على كَوْدَني ، إذ مررت بهذين العبدين فرأيت هذا الأسحمَ قد مال على هذا الأبقع ، فحطَأَه على فَدْفَدٍ ، ثم ضغطه برضَفتيه في أحشائه ، حتى ظننت أنه تدعّج جوفُه ، وجعل يلجُّ بشناتره في حَجْمتيه يكاد يفقؤهما ، وقبض على صَنّارَتَيْه بمَبْرَمِه وكاد يجذُّهما ، ثم علاه بمنسأةٍ كانت معه فعفجه بها ، وهذا أثر الجِرْيان عليه بيّناً " فقال الأمير : والله ، ما فهمت مما قلت شيئاً ، فقال أبو علقمة : قد فهمناك إن فهمت وعلمناك إن علمت ، وأديت إليك ما علمت ، وما أقدر أن أتكلم بالفارسية ، فجهد الأمير في كشف الكلام حتى ضاق صدره ، ثم كشف الأمير رأسه ، وقال للصقلبي :شُجّني خمساً وأعفني من شهادة هذا!! (بغية الوعاة : ٢/ ١٣٩)

قلت : يبدو أن الأمير كان فارسياً ، ولو كان عربياً مافهم مما قال أبو علقمة شيئاً كذلك ، فقد اختار هذه الكلمات الغريبة وآثرها على المفردات السهلة المستعملة في الحياة ،ولعل أبا علقمة كان قد جهز هذه الكلمات في طريقه إلى الأمير ليظهر له فصاحته ... والكلمات كالبشر منهم المعروف المشهور ، ومنهم المغمور المجهول ، وقد أتعب أبو علقمة الأمير وأتبعنا معه في فك طلاسمه ، وهذا تفسير غريبه :

الكودن : الفرس الهجين أو البغل وهو المخلّط من سلالتين ، والأسحم : الأسود ويقصد به الحبشي ، والأبقع : الأصفر المختلط بحمرة ويعني به الصقلبي ، والصقالبة جنس من وسط آسيا قريب من روسيا ، وحطأه يحطأه : ضرب به الأرض فصرعه، والفدفد : المكان الصلب أو المرتفع ، والرضفة : مجتمع الأصابع والكف ، والمراد : ضربه بجُمع يديه ضرباً قوياً ، تدعّج جوفه : لم أجد الفعل تدعّج هذا في لسان العرب ولاالقاموس المحيط ، وإنما فيهما : الدعَج : سواد العين واتساعها، فلعله أراد أنه ضربه حتى اتسع جوفه أو اسودت بطنه ، وا لله أعلم بنيته !

وقوله : يلج بشناتره : أي يدخل أصابعه في جحمتيه أي عينيه، وقبض على صنارتيه يعني أذنيه ، والميرم لم أجد له ذكراً في المعاجم ، ولعله أراد به الأصابع كما يتضح من السياق ، والحذّ: القطع ، والمنسأة : العصا ، وعفجه : ضربه ،والجرْيان: الأحمر ، وأراد به الدم .

٢٧- ودخل أبو علقمة علـى أَعْيَـن الطبيـب ، فقـال لـه : أمتـع ا لله بك، إني أكلت من لحوم هذه الجوازل ، فطَسِئْتُ طسْأَةً ، فأصابني وجعُ ما بين الوابلةِ إلى دَأيةِ العنقِ ، فلم يزل يربو وينمي حتـى خـالط الخِلْـبَ والشراسـيف ، فهـل عنـدك مـن دواء ؟ قـال أعـين : نعـم ،خـذ خَرْبَقَـاً وشَلْفَقاً وشِبْرَقاً ، فزهزقه ، واغسله بماء رَوْثٍ واشربه ، فقال أبوعلقمة: لم أفهم عنك ! فقال أعين : أفهمتك كمـا أفهمتـني "(عيـون الأخبـار لابـن قتيبة :١٦٢/٢)

قلت : وهذا أيضاً من مصائب أبي علقمة ، فأما الجوازل بهذا الجمـع فلم أجدها ، والأجزل : الجمل الفتيّ ، فلعل هذا جمعه ، وطسيء يَطْسَأ: اتخمه الدّسم والشبع ، أمـا الوابلـة فقـال عنهـا في القـاموس : الوابلـة : طـرف رأس العَضُـد والفخـد ، أو طـرف الكتـف ، أو عظـم في مفصـل الركبة ،أو ما التفّ من لحم الفخذ ..."فأي هذه المعاني أراد أبو علقمة؟ ا لله أعلم .

ودَأية العنق : فِقاره ، وهي العظام التي في العنق ، ويربو وينمـي : أي يزيد ، والخِلْب : لحم يصل بين الأضلاع ، والشراسيف : عروق معلقـة بـالأضلاع . وحـين اسـتعمل أبـو علقمـة هـذا الكـلام العويـص لم يفهـم الطبيب منه شيئاً ، فسخر منـه واخـترع لـه هـذه الكلمـات والوصفـات الطبية ليسخر منه !

إن المتكلم ينبغي له أن يحرص على توصيل المعنى بأوضح لفظ وأسهل عبارة لتفهم عنه ، وأنت تجد ذلك واضحاً في القرآن الكريم وكلام النبي صلى الله عليه وسلّم .

❁ ❁ ❁

خوف أبي علي من الكذب

وهو أبو علي الفارسي ، اللغوي النحوي أستاذ ابن جني ، صاحب الحجة في القراءات السبع ، قال :

٢٨- جئتُ لأسمعَ الكتابَ -يعني كتاب سيبويه - من أبي بكر بن السرّاج ، وحملت إليه ما حملت ، فلما انتصف عَسُر عليَّ في إتمامه ، فانقطعْت عنه لتمكّني من الكتاب ، فقلت في نفسي بعد مدة : إذا عدت إلى فارس وسئلت عن إتمامه ، فإن قلت نعم كذبت ، وإن قلت لابطلت الرواية والرحلة ، فدعتني الضرورة أن حملت إليه رِزْمة ، فلما بَصُر بي من بعيد أنشد :

كم قد تجرّعْتُ من غيظٍ ومن حَزَنٍ
إذا تجدّد حزني هوّن الماضي
وكم غضبتُ وما باليتمُ غضبي
حتى رجعت بقلبٍ ساخط راضِ

(بغية الوعاة : ١/١١٠)

قلت : في الخبر بيان صدق أبي علي الفارسي وعدم استباحته الكذبَ، وفيه أنه كان عالماً بالكتاب لايحتاج فيه إلى شيخ ، ومع ذلك فضل دراسته على شيخ معروف ليثق الناسُ في علمه ، وهذا هو الأصل في التعليم ، التلقي عن الشيخ مباشرة أو عن الأستاذ أو المعلم ...ليكون النقاش والحوار وتثبت المعلومات في الذهن ، ولو عدنا إلى هذا الأسلوب لانصلح اللسان والبيان معاً، وفيه بيان معرفة الأستاذ بأحوال طلابه ، وقد جاء الشعر موافقاً لحال أبي علي الفارسي ، مما يدل على خبرة أستاذه بحاله ، وهو مايجب على الأستاذ ، وهو أن يتحسس أحوال طلابه ليكون قريباً من نفوسهم، والله أعلم .

٢٩- وكان أبو علي من مجالسي عَضُد الدولة البُوَيْهِيّ وسُمّاره وكان عضد الدولة يوماً بالميدان - أي ميدان الرمي- فقال لأبي علي : بم ينتصب المستثنى ؟ فقال : بتقدير : أستثنى ، فقال : لم قدّرت أستثنى فنصبت ؟ هلاّ قدّرت : امتنع زيد ، فرفعت ؟ فقال أبو علي : هذا جواب ميداني ، فإذا رجعت قلت الجواب الصحيح ، قال السيوطي : والذي اختاره أبو علي في الإيضاح أنه بالفعل المقدّم بتقوية إلاّ .
(بغية الوعاة : ٤٩٦/١)

قلت : وقال السيوطي : المسألة فيها سبعة أقوال حكيتها في جمع الجوامع من غير ترجيح ، وأنا أميل إلى القول الذي ذكره أبو علي أولاً "أ . هـ .

والخلاف هنا في عامل النصب في المستثنى ، كما في قولك : حضر الطلابُ إلا واحداً ، ماسبب نصب "واحِداً " ؟ وقد اختلفوا في ذلك على سبعة أقوال كما قال السيوطي، وجمع الجوامع كتاب للسيوطي في النحو ، وقد شرحه أيضاً في شرح سماه : همع الهوامع شرح جمع الجوامع ، وهو مطبوع بغير تحقيق، ورأي أبي علي أن النصب في هذا بتقدير : حضر الطلاب أستثنى واحداً ، فأُشربت الأداة "إلا" معنى الفعل ، ولكن هذا لايستقيم إلا إذا كان المستثنى منصوباً ، وقد يأتي مرفوعاً أو مجروراً كما في الاستثناء التام المنفي إذا أعربت المستثنى بدلاً من المستثنى منه نحو : ما مررت بأحدٍ إلا محمدٍ ، فيجوز في محمد النصب والجر ، ولو كانت إلا تعمل النصب مطلقاً ما جاز الجر في محمد كما هو معلوم ، وقد مال السيوطي إلى رأي أبي علي ، والذي يميل إليه العبد الفقير أن نحتكم إلى أساليب العرب وطرقها في الكلام ، والقياس عليها ، ونقول : هكذا تكلم العرب ، والمهم هو الكلام بالفصحى خاليةً من اللحن والتحريف.

في سرعة البديهة

كان محمد بن الحسن بن المظفّر الحاتمي من أعلام اللغة والشعر والأدب ، وكان سريعَ البديهة حاضرَ الذهن ، ومما يدل على ذلك قوله:

٣٠- كلّفني المعروف بالسلامي في أبيات النابغة ، من مرثية أحسن فيها كل الإحسان :

لايَهْنِيءُ الناسَ مايرعون من كـلأٌ
وما يسوقون من أهل ومن مال

بعدَ ابن عاتكةَ الثّاوي بـسـلْقعةٍ
أمسى ببلدة لاعمٍّ ولاخـال

سهلُ الخليقةِ مشّاءٌ بأقْدُحِـه
إلى دوات الذرى حمّالُ أثقـال

حَسْبُ الخليلين نَأْيُ الأرض بينهما
هـذا عليها وهذا تحتَها بـالِ

فإنه أرادني على فك صدورها ، وإبدالها بألفاظ تنتظم مع أعجازها في وصف الليل ونجومه ، فتناولت القلم وكتبت معجلاً خاطري :

في ليلة ضل عنها الصبحُ داجـيةٍ
لبسْتها بمطـول الجري هطّالِ

وقد رمى البين شعب الحي فاقتسموا
أيدي سبَا بين تقويض وترْحال

فناسبتْ أنجُـمُ الآفــــاقِ عِيسَهم
وما يسوقون من أهل ومن مال
ترى الهلال نحيـــلاً في مطـــــالعه
أمسى ببلدةٍ لاعم ولاخـــــالِ
والجَدْي كالطِّرْف يستَنُّ المراح به
إلى ذواتِ الذرا حمّالُ أثقـــــالِ
والليلُ والصبحُ في غـبراءَ مظلمةٍ
هذا عليها وهـــذا تحتها بــــالِ

فأعظم البيت الأخـير من هـذه الأبيـات ، وأكـبره وفخّـم أمـره كـل التفخيم ، وغلا في استحسانه غلواً تجاوز قدره"(بغية الوعاة : ١/٨٨)

قلت : أبيات النابغة من بديـع الشـعر ، وهـي في الرثـاء ، وهـو مـن أحسن فنون الشعر العربي ، وهو يرثي في هذه الأبيات أخـاه مـن أمـه ، والأبيات في ديوانه خمسة ، والأول منها غير موجود هنا، وهو :

ماذا رُزِئْنا به من حيّةٍ ذكَرٍ نَضْناضةٍ بالرزايا صلِّ أصلالِ

وبعده الأبيات المذكورة آنفاً (الديوان : ١٤٩ ط بيروت)

وهذا تفسير مفرداته : الـرُّزْءُ : المصيبـة ، والنضناضـة مـن الحيـات : ذات السم القاتل، والرزايا : المصائب جمع رزيـة ، والصّـلُّ : حيـة قاتلـة سامة ، والمراد : يتساءل الشاعر عن المصائب العظيمة التي حلّت بهم بموت أخيه والكلأ: العشب والمرعى ، والمراد في البيت الثاني : أن الناس مهما توفر لهم العشب والمرعى ومهما رزقوا من الأولاد والمال ، مع كل ذلك لايهنأ لهم بال ، لأن حوادث الدهر لاتنقضي والموت متربص بهم .

البلقعة : المكان القفر ، وفي رواية الديوان " أَبَوَى" وهو موضع بالشام ، والمراد في البيت الثالث أن أخاه مات غريباً بعيداً عن وطنه حيث لا عم هنالك له ولاخال .

ويمدح أخاه بأنه ذو خلق حسن ، مشاء إلى المجد بكل خير ممكن ، يحمل الأثقال إلى القمم ، والمراد بلوغ المجد والمعالي .

ثم يعزي نفسه في البيت الأخير بأن الحياة لاتدوم والأحبة لابد أن تفترق ، ويكفيه من الحزن أنه حي وأخوه تحت التراب .

هذا شعر النابغة ، وقد كلف السلاميُ المظفرَ الحاتميَّ أن يفك صدور هذه القصيدة ، أي يغير الشطر الأول من كل بيت فيها ويستبدله بكلام في وصف الليل والنجوم ، مع بقاء الشطر الثاني " العجز " من شعر النابغة كما هو ، وهي مهمة صعبة كما ترى و تحتاج إلى وقت وتفكر ، ولكن الحاتمي أمسك بقلمه وكتب الأبيات التي ذكرناها آنفاً ،

مما يدل على براعته وسرعة بديهته وتمكنه من اللغة والشعر ، والليلة الداجية : الشديدة الظلام ، والبين : الفراق ، وأيدي سبا : أي تفرقوا تفرقاً عن مواطنهم ، وهو من أمثال العرب المشهورة ،يقولون : ذهبوا أيدي سبأ ، إذا تفرقوا في كل حدَب وصوب ، وأصله من قصة أهل سبأ المذكورة في القرآن الكريم ، حيث مزقهم الله كل ممزق وشتتهم في الأرض لأنهم لم يشكروا نعمة الله تعالى عليهم (انظر : مجمع الأمثال للميداني :٤/٢،ط بيروت)، والعيس : الإبل ، ومعنى ناسبت أنجم الآفاق عيسهم أي طالعهم طالع النحس من النجوم - بزعمه - فتفرقوا ، والجدي : بُرْج مِعروف من أبراج السماء ، والطرف بكسر الطاء هو من الخيل الكريم العتيق ، ومن الشباب الجواد الكريم ، والغبراء : وجه الأرض ، وفي البيت الأخير حقيقة علمية وهي أن الليل والنهار متعاقبان في هذه الأرض ، والله أعلم .

❁ ❁ ❁

في تفسير كلمة من الغريب

كان أبو مُحلِّم الشيباني من علماء اللغة ، وكان يجالس الخليفة الواثق العباسي ، ووقعت له هذه الحكاية معه:

٣١- رأى الواثق بالله في منامه كأنه يسأل الله الجنةَ ، وأن يتغمده برحمته ، ولايهلك بما هو فيه ، وأن قائلاً قال له : لايهلك على الله إلا مَنْ قلبه مَرْتٌ ، فأصبح فسأل الجلساءَ عن ذلك ، فلم يعرفوا حقيقته ،

فوجّه إلى أبي محلّم فأحضره ، فسأله عن الرؤيا والمَرْت ، فقال أبو محلم: المرت من الأرض : القَفْر الذي لا نبتَ فيه ، فالمعنى على هذا : لايهلك على الله إلا من قلبه خال من الإيمان خلو المرت من النبات ، فقال الواثق : أريد شاهداً من الشعر في المرت ، فأفكر أبو محلم طويلاً ، فأنشده بعض من حضر بيتاً لبعض بني أسد :

ومَرْتٍ مروراتٍ يحارُ بها القَطَا

ويصبحُ ذو علم بها وهو جاهل

فضحك أبو محلم ، ثم قال للذي أنشده : ربما بَعُد الشيء عن الإنسان وهو أقرب إليه مما في كُمِّه ، والله لاتبرحُ حتى أنشدَك ، فأنشد للعرب مائة بيت معروف لشاعر معروف ، في كل بيت منها ذكر المرت فأمر له الواثق بألف دينار ، وأراده لمجالسته ، فأبى أبو محلم " (بغية الوعاة : ١/٢٥٧)

قلت : مايراه النائم في نومه إما أن يكون رؤيا حق فهي من الله تعالى، وإما أن يكون من الشيطان فهو حلم وتهاويل يخوف الشيطانُ بها العبد ، وإما أحداث تقع في النهار وينشغل بها الإنسان فيرى بعضاً منها في نومه، وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم قال:

" الرؤيا ثلاثة ، فبُشرَى من الله ، وحديثُ النفس ، وتخويفٌ من الشيطان ، فإذا رأى أحدُكم رؤيا تعجبُه فليقصّها

إن شاء على أحد ، وإن رأى شيئاً يكرهُه فلا يقصَّه على أحد، وليقم يُصلي ، وأكره الغُلَّ ، وأحب القيدَ ، القيدُ ثباتٌ في الدين ' (رواه الترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة ، انظر : صحيح الجامع :٣٥٣٣) والغل ما يجمع الأيدي إلى الرقبة ، وهو مكروه في المنام، والقيد ما يكون في الرجل ، وهو كما أوّله النبيﷺ ثبات في الدين ، والله أعلم .

وجاء في الأحاديث الصحاح كذلك أنك إذا أردت أن تقصّ الرؤيا فلا تقصها إلاعلى إنسان محب لك ، ومارآه الواثق في نومه من النوع الأول الذي تكون فيه النصيحة للعبد حتى يستقيم في حياته الدنيا ، أما المَرْت فهي الصحراء التي لانبات فيها، والقطا :طائر معروف ،وفي الرؤيا جمال في تشبيه الإيمان بالزرع في الصحراء ، فكما أن الصحراء ميتة بدون زرع وماء ، فكذلك الإنسان ميت بلا إيمان سليم بالله تعالى ، قال تعالى :

﴿يومَ لاينفعُ مالٌ ولا بنون. إلا من أتى اللهَ بقلبٍ سليم﴾ (الشعراء :٨٩-٩٠)

وفي الخبر بيان كثرة محفوظ أبي محلّم من الشعر ، ومع ذلك فإن الإنسان قد تنِدّ عنه بعض الأشياء البسيطة أحياناً لشرود الذهن أو البال.

حيلة أديبين مُفْتَقِرَين

كان أحمد بن أبي طاهر من الأدباء والشعراء ، وكان هؤلاء يتمنون زيارة بغداد والإقامة فيها ، فهي عاصمة الخلافة ، وفيها العلماء والخلفاء والأموال ...فدخل هذا الأديب بغداد مع صديق له وافتقرا ، فوقعت منهما هذه الحيلة الطريفة :

٣٢- حدّث أبو دِهْقان قال : كنت أنزل في جوار المعلّى بن أيوب صاحب العرْض والجيش في أيام المأمون ، وكان أحمد بن أبي طاهر ينزل عنده ، فأُضِقْنا إضاقةً شديدةً ، وتعذّرت علينا وجوه الحيلة ، فقلت لابن أبي طاهر :هل لك في شيء لابأس به؟ تدعُني حتى أُسَجّيك وأمضي إلى منزل المعلى بن أيوب فأُعلمه أن صديقاً لي قد توفي ، فأخذ منه ثمن كفن فنقه ، فقال : نعم ، وجئت إلى وكيل المعلى فعرفته خبرنا ، فصار معي إلى منزلي ، فتأمل ابنَ أبي طاهر ،ثم نقر أنفه فضرط ، فقال لي: ما هذا؟ فقلت :هذه بقية من روحه كرهت نكهته ، فخرجت من استه ، فضحك ، وعرف المعلّى خبرنا ، فأمر لنا بجملة دنانير "(معجم الأدباء : ٣٨٦/١)

قلت : الخبر لايحتاج إلى تعليق ، وإنما نفسر هنا بعض كلماته، أسجيك : أي أغطيك ، والنكهة : الرائحة ، والاست : فتحة الشرج .

❁ ❁ ❁

في سرقة الشعر

كما أن لكل شيء ذي قيمة في هذه الحياة لصوصاً يتربصون به ، فكذلك عالم الأدب والشعر ، والسرقة في الشعر باب كبير من أبواب النقد الأدبي عند العرب يسمى باب " السرقات الشعرية " وهو ليس سرقة بالمعنى المعروف ، ولكنه أخذ المعنى من شاعر سابق وصَوْغه في قالب لغوي جديد ، ومن أمثلته : قول أبي نواس الحسن بن هانيء في الخمر :

دَعْ عنك لومي فإنَّ اللومَ إغراءُ ❊ وداوني بالتي كانت هي الداءُ

سرقه من قول الأعشى الجاهلي :

وكأسٍ شربتُ على لذةٍ ❊ وأخرى تداويت منها بها

(الموشح للمرزباني : ٣٥٣)

أما سرقة القصيدة كلها فهو واقع كذلك ولكنه قليل ، ومن ذلك هذه السرقة التي فعلها الأديب الأندلسي أحمد بن علي الكناني الإشبيلي:

٣٣- قدم أحدُ الولاة إشبيلية فتجمع شعراؤها لمدحه ، قال : أحمد : فطمعت تلك الليلة أن يسمح خاطري بشيء فلم يسمح فنظرت في معلقاتي ، فإذا قصيدٌ لأبي العباس الأعمى مكتوب عليه " لم يُنشَدْ"

فأدغمت فيه اسم الـوالي ، فلمـا أصبحنـا وأنشـد النـاس أنشـدت تلـك القصيدة ، فقام شخص وأخرج القصيدة من كُمّه ، وقـد صنـع فيهـا مـا صنعت ، ووقع له ما وقع لي ، فضحك الوالي من ذلك ، وكثر العجـب من التوارد على السرقة " (بغية الوعاة : ١/٣٤٤/٣٤٥)

قلت : العجب هنا ليـس مـن السـرقة فحسـب ، وإنمـا العجـب كـل العجب لأناس هم أهل أدب وعلم يجتمعون لمدح والٍ جديـد لم يعرفـوا شيئاً من أعماله ولا من سيرته ، فبمَ يمدحونه ؟ ولكنها عـادات سـيئة في عهود صعية انتهت بهؤلاء الـولاة إلى ضيـاع الأندلـس ، جنـة المسـلمين المفقودة ، و لله الأمر من قبلُ ومن بعدُ!

لفظ نبويّ بين الطاء والظاء

وجدت ذلك في ترجمة بكر بن حبيب السهمي والد المحدّث عبـد الله بن بكر ، قال عبد الله :

٣٤- دخل أبي على أبي عيسى بن جعفر بن المنصور أمـير البصـرة ، فعزّاه بطفل مات له ، ودخل بعده شبيب بن شبّة المنقـري فقـال : بلغنـا أن الطفل لايزالُ مُحْبَنْظِئاً على باب الجنة يشفع لأبويه ، فقال لـه أبـي : يا أبا مَعْمَر ، دع الظاء والزم الطاء ... فقال شبيب : أتقول لي هذا وما بين لابَتيها أفصحُ مني ؟ فقال أبي : وهذا خطأ ثـان ، مـن أيـن للبصـرة

لابَةٌ؟واللابـة : الحجارة السـود والبصـرة ذات الحجـارة البيـض . (بغيـة الوعاة :١/٤٦٢)

قلت : تواردت الأحاديث بأن الطفـل إذا مـات قبـل أن يبلـغ الحلـم واحتسبه والداه وصبرا على ذلك ورضيا بقضاء ا لله تعـالى وقـدره ، إذا حدث هذا شفع ذلك الطفل لأبويه يوم القيامة ، جاء في لسان العـرب : المحبنطيء : اللازق بالأرض ، وفي الحديث : إن السِّقْطَ ليظـلُّ مُحْبنطيـاً على بـاب الجنـة ...فسّروه : متغضّبـاً ، وقيـل : المحبنطـي : المتغضّـب المسـتبطيء للشـيء ...وقـال ابـن الأثير : المحبنطيء : بـالهمز وتركـه : المتغضّب المستبطيء للشيء ...(لسان العرب :حبط)

ولم أجـد الحديـث بهـذا اللفـظ في شـيء مـن كتـب الحديـث التسـعة المعروفـة ، ولا في المعجـم المفهـرس لألفـاظ الحديـث النبـوي، وجـاء في كتاب الفائق في غريـب الحديـث للعلامـة الزمخشـري (١/٢٥١) قـال : قال -أي رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم -في السقط :" يظـل محبنطيـاً على باب الجنة " ثم فسره فقـال : احبنطيـت : مـن حَبِـط ، إذا انتفـخ بطنه ... والمعنى أنه يظل منتفخاً من الغضب والضجر " أ . هـ

قلت : إنما يغضب تدللاً على رب العزة لأنـه سـقط غـير مكلـف ... وذلك حتى يشفع لأبويه ، ولا يفعل ذلك إلا بقضاء ا لله تعالى وقدَره .

وقد وجدت الحديث بغير اللفظ المذكور في مسـند الإمـام أحمـد رحمه ا لله ، عن بعض أصحاب النبي صلى ا لله عليه وسلم أنه قال :

" يُقال للولدان يومَ القيامة : ادخلوا الجنةَ ، قال : فيقولون: يارِبّ ، حتى يدخلَ آباؤنا وأمهاتنا ، قال : فيأتون ، قال : فيقول الله عز وجل : مالي أراهم مُحْبَنْطِئين ؟ ادخلوا الجنة، قال : فيقولون : يارب آباؤنا وأمهاتنا ، قال فيقول : ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم "(انظر مسند الإمام أحمد (٤/١٠٥ الحديث ١٦٩٧٣) وهو بمعنى الأحاديث المتقدمة ، ومن هذا كله يتضح أن اللفظ بالطاء لا بالظاء ، أما اللابة فهي الحَرَّة ، وهي الحجارة السوداء، أما البصرة فهي الحجارة البيضاء ، وبها سميت مدينة البصرة في جنوب العراق .

الخلاف في ضبط "وراء وراء"

من ترجمة زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن ، تاج الدين وهو أبو اليُمْن الكندي النحوي اللغوي المقريء المحدث المولود ببغداد سنة عشرين وخمسمائة ، حفظ القرآن وهو ابن سبع ، وأكمل القراءات العشر وهو ابن عشر ، وهذا الخلاف له قصة هي :

٣٥- حضر التاج الكندي عند الوزير وحضر ابنُ دِحْية ، فأورد ابن دحية حديث الشفاعة ، فلما وصل إلى قول الخليل عليه الصلاة والسلام : " إنما كنتُ خليلاً من وراءَ وراءَ " فتح ابنُ دحيةَ الهمزتين ، فقال الكندي : "وراءُ وراءُ "بضم الهمزتين فعَسُر ذلك على ابن دحية وصنف في المسألة كتاباً سماه : " الصارم الهندي في الردّ على الكندي

"وبلغ ذلك الكندي ، فعمل مصنفاً سماه : نتفُ اللحية من ابن دحية " (بغية الوعاة : ٥٧٢/١)

قلت : في هذا الخبر بيان تنافس العلماء ، وما يكون عادة بين الأقران المتعاصرين من تنافس ، ولهذا لا يُقبل قدْح بعضهم في بعض ، ووصل الأمر في الخلاف في ضبط هذين اللفظين إلى درجة تأليف الكتب في الانتار للرفع أو النصب ، وهي كتب لم تعمل للانتصار العلمي فحسب وإنما كما يظهر من أسمائها للرد والاحتقار معاً ، وهذا يذكرني بما دار من خلاف بين السيوطي والسخاوي ، وما ألّفاه من الكتب للرد والاستهزاء ، ومنها للسيوطي : "الكاوي في تاريخ السخاوي " والقول الزكي عن قمامة ابن الكركي ، وهو من جماعة السخاوي ، وكان السخاوي قد ترجم له ترجمة فيها ذم وإهانة في كتاب له .

أما الخلاف في ضبط "وراء وراء "فإننا نورد الحديث أولاً ثم ننظر في هذا الخلاف بعد .

ولم يرد الحديث بهذا النص إلا في صحيح مسلم في أحاديث الشفاعة حين يضطر الناس يوم القيامة إلى طلب الشفاعة من آدم عليه السلام فيقول : اذهبوا إلى نوح ...ونوح يقول لهم : اذهبوا إلى إبراهيم ، فيذهبون إلى إبراهيم عليه السلام فيقول إبراهيم " لستُ بصاحب ذلك ، إنما كنت خليلاً من وراءَ وراءَ، اعمدوا إلى موسى ..."(صحيح مسلم : ٧٠/٣-٧١)

وجاء في شرح الإمام النووي على صحيح مسلم : "هذه كلمة تدل على التواضع ، أي لستُ بتلك الدرجة الرفيعة ... أما ضبط "وراء وراء " فالمشهور فيهما الفتح بلا تنوين ويجوز عند أهل العربية بناؤهما على الضم " (٣/٧١)

قلت : كلا الوجهين جائز ، أما النصب فعلى أنهما مبنيان على فتح الجزأين مثل : صباحَ مساءَ ، وهو جاري بيتَ بيتَ ، وهذا الأمرُ بينَ بينَ وأما البناء على الضم فعلى أنهما مقطوعان عن الإضافة ، مثل قولك : لله الأمرُ من قبلُ ومن بعدُ ، فقبلُ وبعدُ مبنيان على الضم لانقطاعهما عن الإضافة .

۞ ۞ ۞

إيثار الصدق والكرامة

كان تمام بن غالب بن عمر القرطبي إماماً في اللغة ثقةً دَيّناً ورعاً ، رحمه الله ، أُغري بالمال لأمرٍ لا يحبه فرفض ، وهذا خبره:

٣٦- صنف كتاباً سماه "تلقيح العين " في اللغة ، لم يؤلف مثلُه اختصاراً وإكثاراً ، وسأله الأمير أبو الجيش في أيام غلبته بألف دينار أندلسية على أن يزيد في ترجمة هذا الكتاب " مما ألفه تمام بن غالب برسم أبي الجيش " فردّ الدنانير ولم يفعل ، وقال : والله لو بُذل لي ملءُ

الدنيا مافعلت ولا استجزت الكذب ، فإني لم أجمعه له خاصة ، لكن لكل طالب عامة "(بغية الوعاة :١/٤٧٨)

قلت : هنا موعظة وعبرة ، لقد ألّف الرجل الكتاب بنية عمله لعامة طلاب العلم ، وأراد الأمير نسبة عمل الكتاب إليه ليرتفع ذكر الأمير عند الناس ، ولكن هذا العالم صان نفسه عن ذلك لأنه لم يكن في نيته حين عمل كتابه أن يكتبه برسم خزانة السلطان ...فهذه جملة بألف دينار ذهباً ! ولكنه رفض ، فالصدق والكرامة أغلى من الذهب ! رحمه الله أما العين فهو معجم لغوي مشهور ينسب إلى علامة العرب الخليل بن أحمد الفراهيدي رحمه الله ، ويقال إنه رتب أصوله وأكمله تلميذه الليث بن المظفر ، وهو موجود مطبوع ، وللعلماء عليه تعليقات وملاحظات ، ومنها ما كتبه هذا العالم، وإن كان لم يصلنا ، وضاع مع ما ضاع من كنوز العلم العربية والإسلامية .

من نوادر ثعلب

وهو أحمد بن يحيى بن يسار الشيباني أبو العباس ، إمام الكوفيين في اللغة والنحو ، وله مؤلفات كثيرة فيهما ، ومن نوادره :

٣٧- قال : كنت أصير إلى الرِّياشي لأسمعَ منه فقال لي يوماً وقد قريء عليه :

ما تنقمُ الحربُ العَوَانُ مني   بازلُ عامين صغيرٌ سِنِّيٌ

كيف تقول : بازلُ أو بازلَ ؟ فقلتُ : أتقولُ لي هذا في العربيـة ؟ إنما أقصدُك لغير، هذا يُروى بالرفع على الاستئناف والنصب على الحال والخفض على الإتباع ، فاستحيا وأمسك " (بغية الوعاة : ١/ ٣٩٦)

قلت : العَوَان : الوسط من الأمر ، ومن البقر والإبل التي جاءت بعد البكر ، والحرب العوان : التي قوتل فيها مرة ، وتجدّد فيها القتال ، يعني قائله أنه متمرس بالحرب ، والبازل : الرجل الكامل في التجربة ، وهو يصف نفسه بذلك مع صغر سنه .

أما إعراب بازل الذي وقع بشأنه الخلاف فهو يحتمل :

أ- الرفع على أنه استئناف ، والتقدير : أنا بازل عامين ، فهو خبر لمبتدأ محذوف .

ب- النصب على أنه حال ، والتقدير : أي شيء تنقمه الحرب العوان مني بازلاً ... أي حالة قوتي هذه .

ج- الجر على أنه بدل من الياء في مني ، فهو تابع لمحلها من الإعراب ومحلها الجر ، فهو مجرور مثلها ، والكوفيون يستعملون مصطلح الخفض مكان مصطلح الجر عند البصريين وعامة النحاة .

٣٨- وقال : كان محمد بن عبد الله بن طاهر - من وزراء العباسيين - يكتب : ألفُ درهمٍ واحدٌ ، بالهاء - يعني التاء المربوطة كما نسميها - فإذا مرّ به " ألف درهم واحد " أصلحه ، وكان كتّابه يهابون أن يكلموه في ذلك ، فقال لي يوماً : أتدري لمَ عمل الفرّاء كتاب الهاء ؟ قلت : لا ، قال : لعبد الله أبي بأمر طاهر جدّي ، قلت : إنه قد عمل له كتباً منها المذكر والمؤنث ، قال : وما فيه ؟ قلت : مثلُ : ألف درهم واحد ، ولا يجوز واحدة ، فتنبه وأقلع " (بغية الوعاة : ١/٣٩٦)

قلت : انظر إلى ذكاء ثعلب وعدم مواجهته للأمير بذلك ، وتلطفه وتحايله حتى عرّفه بلطف ما كان فيه من خطأ ، وهكذا ينبغي أن يكون الإنسان ، فإذا كان مع تلاميذه عرفهم الخطأ مباشرة لأنهم في مجال تعلم وإذا كان مع من هو فوقه تلطف ليعلمه لئلا يحرجه أو يسمع منه مالايرضاه ، وقوله : ألف درهم واحدة ، الخطأ في كلمة واحدة ، لأنها صفة لألف ، وألف مذكر فيجب أن تكون بدون تاء لأن الصفة تتبع الموصوف في التذكير والتأنيث والإعراب .

٣٩- وقال أبو بكر بن مجاهد عالم القراءات ، قال لي ثعلب : يا أبا بكر ، اشتغل أصحاب القرآن بالقرآن ففازوا ، وأصحاب الحديث بالحديث ففازوا ، وأصحاب الفقه بالفقه ففازوا ، واشتغلت أنا بزيد وعمرو ، فليت شعري ماذا يكون حالي ! فانصرفت من عنده فرأيت

النبيّ صلى الله عليه وسلم – يعني في المنام – تلك الليلة فقال لي : أقرىء أبا العباس مني السلامَ ، وقل له : أنت صاحب العلم المستطيل" (بغية الوعاة : ١/٣٩٧)

قلت : كان ثعلب رحمه الله إماماً في العربية ، وله فيها تصانيف كما ذكرنا ، ومع ذلك فهو يخاف أن لا يكون عمله هذا مقبولاً ، وها هنا نوضح أمراً يخفى على كثير من الناس ، فكثير منهم يعتقد أن خدمة الدين والعلم تكون بتعلم العلوم الشرعية من التفسير والحديث والفقه فحسب ، وهذا أمر غير سليم ، إن خدمة الدين تكون بتعلم جميع العلوم النافعة للمجتمع ، كالعلوم السابقة إلى علوم الحاسب والطب والفلك ...إلخ ، لتستقل أمة الإسلام بكفايتها العلمية ولا تظل عالة على الأمم الأخرى في مجال التقدم العلمي الذي يقفز بخطى متسارعة ، إننا بحاجة إلى علماء في كل مجالات العلم لخدمة الأمة ، ومنها علوم الشرع كذلك ، وعلم اللغة والنحو من الوسائل إلى معرفة القرآن والحديث والفقه ، فاللغة العربية جزء من البناء الثقافي الإسلامي، فالقرآن نزل بلسان عربي مبين ، ولكي أفهم القرآن لابد أن أفهم اللسان الذي نزل به وهو اللغة العربية ، إن العربية من الدين ، والتقصير في تعليمها وتعلمها تقصير في الدين وخذلان مبين ، والدليل على ذلك – مع مئات الأدلة الأخرى –هذه الواقعة التى رأى فيها أبو بكر بن مجاهد رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وأخبره أن ثعلباً صاحب العلم المستطيل ، أي علم اللغة ، وهو حقاً علم مستطيل ، أي واسع ،

وقد ذكرنا أن الإمام الشافعي قال في العربية إنها أوسع اللغات ، ولايحيط بها إلا نبي ...فالعلم باللغة والنحو مدخل أساسي لفهم القرآن الكريم والحديث والتراث الإسلامي العريق الذي كتب بهذه اللغة، ورؤية النبي صلى ا لله عليه وسلم في المنام حق لأن الشيطان لايتمثل به صلى ا لله عليه وسلم ولايستطيع أن يأتي إنساناً في المنام ويقول له أنا رسول ا لله ، فقد منع ا لله الشيطان من ذلك ، لشرف الرسول صلى ا لله عليه وسلم وفضله ، وقد ورد ذلك في الحديث الصحيح عنه صلى ا لله عليه وسلم أنه قال :" من رآني في المنام فقد رآني ، فإن الشيطان لا يتمثّل بي " رواه البخاري وأحمد والترمذي ، انظر : صحيح الجامع (٦٢٥٧) ، وا لله الموفق .

☾ ☾ ☾

مزاح في مجلس الوزير

المزاح في حدود الأدب شيء مرغوب محبوب ، لأنه يخفف عن النفوس بعض العناء والكد في زحام الحياة، وقد كان النبيّ صلى ا لله عليه وسلم يمزح لكن لا يقول في مزاحه إلا حقاً ، جاءته امرأة عجوز تسأله أن يدعو لها بدخول الجنة ، فقال: إن الجنة لا يدخلها عجوز ، فولت المرأة حزينة ، فقال صلى ا لله عليه وسلم : أخبروها أن ا لله تعالى سيعيد إليها شبابها قبل أن يدخلها الجنة ، وجاءته امرأة تسأل عن زوجها فقال: زوجُك الذي في عينيه بياض ؟ فولّت المرأة تنظرُ في عيني

زوجها حتى شك زوجها في الأمر فسألها فأخبرته ، فضحك وقال : كلُّ الناس في عينيه بياض ، ومن هذا المزاح البريء هذه الواقعة مع ابن فطيراء :

٤٠- روي أن أبا الحسن جعفر بن محمد بن فطيراء ناظر واسط والبصرة وما بينهما من تلك النواحي دخل يوماً إلى بعض الوزراء في أيام المستضيء بالله ، فرأى في مجلسه الذي كان يجلس فيه أبا محمد بن الجواليقي ، فلم يعرفه وهابه ، فجلس بين يدي الوزير، وكان ابن فطيراء معروفاً بالمزاح ، فقال للوزير : يا مولانا ، مَنْ هذا الذي جلس في مجلسي ؟ فقال : هذا الشيخ الإمام أبو محمد بن الجواليقي ، فقال : وأيُّ أرباب المناصب هو؟ قال : ليس هو من أرباب المناصب ، هذا الإمام الذي يصلي بأمير المؤمنين ، فقام مبادراً ، وأخذ بيده وأزاحه عن موضعه وجلس فيه ، وقال له : أيها الشيخ ، ينبغي أن تتشامخ على إمام الوزير ومَنْ دونه ، فتجلس فوقهم ، لأنك أعلى منه منزلة ، فأما عليٌّ وأنا ناظر البصرة وواسط وما بينهما فلا ، فما تمالك أهل المجلس من الضحك أن يمسكوه"(بغية الوعاة :١/٤٥٧)

والجواليقي من علماء اللغة الكبار ، وله مصنفات منها " المعرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم " جمع فيه الألفاظ التي عربها العرب عن اللغات الأخرى واستعملوها .

جزاء الكبر والغرور

كان الحسن بن صافي المتوفي بدمشق سنة ثمان وستين وخمسمائة معتداً بنفسه رافعاً لها فوق قدْرها ، وسمى نفسه ملك النحاة وبالغ في ذلك ، وكان يقول : هل سيبويه إلا من رعيتي وحاشيتي ؟ ولو عاش ابن جني لم يسعْه إلا حمل غاشيتي ، ووقعت له يوماً هذه النادرة :

٤١- كان إذا ذُكر واحد من العلماء قال عنه : كلبٌ من الكلاب فقال له رجل : أنت إذاً لستَ ملك النحاة بل ملك الكلاب ، فاستشاط غضباً ، وقال : أخرجوا عني هذا الفضولي"

(معجم الأدباء : ٢/٤٩٨، وبغية الوعاة : ١/٥٠٥)

٤٢- ومن طريف ما يُحكى عنه أن نور الدين محموداً خلع عليه خِلْعةً سنية ، ونزل ليمضي إلى منزله ، فرأى حلقةً عظيمةً فمال إليها لينظر ما هي ، فوجد رجلاً قد علّم تَيْساً له استخراج الخبايا وتعريفه ما يقول له من غير إثارة ، فلما وقف عليه ملك النحاة قال الرجل لذلك التيس : في حلقتي رجل عظيم القدر ، شائع الذكر ، ملكٌ في زيّ سوقةٍ، أعلمُ الناس ، وأكرم الناس ، وأجمل الناس ، فأرني إياه ، فشق ذلك التيس الحلقة ، وخرج حتى وضع يده على ملك النحاة ، فلم يتمالك ملك النحاة أن خلع تلك الخلعة ووهبها لصاحب التيس ، فبلغ ذلك نور الدين فعاتبه وقال : استخففت بخلعتنا حتى وهبتها من طُرَقي ؟ فقال : ياولانا ، عذري في ذلك واضح ، لأن في هذه المدينة زيادة على

مائة ألف تيس ما فيهم من عرف قدري إلا هذا التيس ، فجازيته على ذلك ، فضحك منه نور الدين وسكت "(معجم الأدباء : ٤٩٨/٢)

نفاق وقول بلا علم

دخل الحسن بن الظهير بن أبي الحسن النعماني المتوفي سنة ثمان وتسعين وخمسمائة الشام وأقام بالقدس مدة ، ومرّ بالقدس العزيزُ بنُ الصلاح بنُ أيوبَ والي مصرَ، فرغّبه في أن يعود به إلى مصر ليقمع به الشهاب الطوسي ، فورد معه وأجرى له الرزق ، وجاء يوم عيد فحدثت هذه الواقعة :

٤٢- ركب العزيز يوم العيد وركب معه الطوسي والظهير ، فقال الظهير للعزيز في أثناء الكلام : أنت يامولانا من أهل الجنة ، فوجد الطوسي السبيلَ في مقتله ، فقال : وما يدريك أنه من أهل الجنة ؟ وكيف تزكي على الله ؟ ومن أخبرك بهذا ؟ ما أنت إلا كما زعموا أن فأرةً وقعت في دَنّ خمر فشربت فسكرت ، فقالت : أين القِطاط ؟ فلاح لها هِرٌّ فقالت : لاتؤاخذ السكارى بما يقولون ، وأنت شربت من خمر هذا الملك فسكرت ، فصرت تقول خالياً أين العلماء ؟ فأُبلس الظهير ، ولم يُحِرْ جواباً ، وانصرف وقد انكسرت حرمته عند العزيز ، وشاعت هذه الحكاية بين العوام وصارت تحكى في الأسواق والمحافل ..."

(بغية الوعاة : ٥٠٢/١)

قلت : في هذه القصة أيضاً تنافس العلماء وتلقطهم سقطات بعضهم للتشنيع ومحاولة السبق ، هذا مع إقرارنا بخطأ هذا الظهير لأنه لا يجوز القطع لأحد بأنه من أهل الجنة على وجه التحديد إلا من شهد ا لله ورسوله له بذلك تحديداً ، أما غير ذلك فيقول : أظنه أو أحسبه من أهل الخير ...لأن القطع بذلك تزكية بغير علم ، وا لله أعلم .

☾ ☾ ☾

سيف الدولة يختبر جماعة من العلماء

كان سيف الدولة الحمداني ملكاً عالماً أديباً يحب مجالسة العلماء ويناقشهم ، هذا مع ما كان فيه من حروب متصلة مع الروم على حدود دولة الإسلام الشمالية ، وكان ممن يجالسه اللغوي المعروف الحسين بن أحمد بن خالويه ، صاحب كتاب " إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم " وغير ذلك من المصنفات النافعة ، ووقعت في مجلس سيف الدولة هذه الحكاية :

٤٣- سأل سيف الدولة جماعة من العلماء بحضرته ذات ليلة : هل تعرفون اسماً ممدوداً وجمعه مقصور ؟ قالوا : لا ، فقال لابن خالويه : ما تقول أنت ؟ قلت : أنا أعرف اسمين ، قال : ما هما؟ قلت : لا أقول لك إلا بألف درهم ، لئلا تؤخذ بلا شكر، وهما صحراء وصحارى ، وعذراء وعذارى ، فلما كان بعد شهر أصبت حرفين آخرين ، ذكرهما الجرمي في كتاب التنبيه ، وهما : صَلْفاء وصلافى - وهي الأرض

الغليظة ، وخَبْراء وخبارَى – وهي أرض فيها ندوة ، ثم بعد عشرين سنة وجدت حرفاً خامساً ذكره ابن دريد في الجمهرة وهو : سَبْتاء وسباتَى ، وهي الأرض الخشنة ". (بغية الوعاة : ١/ ٥٢٠)

قلت : انظر إلى دقة الحاكم ومدى تمكنه حتى إنه يختبر العلماء في مثل هذه المسائل ، ويعطي من يعرفها هذا المال الكثير، وكل ذلك يشجع الحركة العلمية ويدفع بالأمة إلى التطور والرقي ، ولكل زمن ما يناسبه ، ولو شجعنا العلم في بلادنا بمثل هذه الطريقة لتغيرت الأحوال في سنين عديدة ! أما الاسم الممدود فهو الذي آخره همزة قبلها ألف مثل : سماء وبناء وإنشاء ، والمقصور هو الذي آخره ألف قبلها حرف مفتوح مثل : هدى وضحى ومستشفى.. كالأمثلة التي وردت في الخبر .

❁ ❁ ❁

ذكاء الخليل بن أحمد

وهو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيديّ البصري ، إمام علماء البصرة في زمانه ، مخترع علم العروض ، ومصنف أول معجم منظم منضبط وهو العين ، كان من العلماء الزهّاد المنقطعين إلى العلم ، وهو أستاذ سيبويه صاحب أهم كتاب في النحو وهو " الكتاب " أول مؤلف علمي منظم في النحو العربي ، وكان الخليل شديد الذكاء ، ومما يدل على ذلك هذه القصة :

٤٤- كان عند رجل من الأطباء دواء لظلمة العين ينتفع به الناس ، فمات واحتاج الناس إليه ، فقال الخليل : أله نسخةٌ معروفة ؟ قالوا : لا قال : فهل له آنية كان يعمله فيها ؟ قالوا: نعم ، قال : جيئوني بها فجاءوه ، فجعل يشمُّ الإناء ويخرج نوعاً نوعاً ، حتى أخرج خمسةَ عشرَ نوعاً ، ثم سُئل عن جمعها ومقدارها فعرف ذلك ، فعمله وأعطاه للناس فانتفعوا به ، ثم وُجدت النسخة في كتب الرجل ، فوجدوا الأخلاط ستة عشر خلْطاً كما ذكر الخليل لم يفته منها إلا خلط واحد "(بغية الوعاة : ١/٥٥٩) .

والخليل أول من جمع حروف المعجم العربي الثمانية والعشرين في بيت واحد ، وهو :

صِفْ خَلْقَ خَوْدٍ كمثلِ الشمسِ إذ بَزَغَتْ

يحظى الضجيعُ بها نجلاءُ معطارُ

الخود : المرأة الحسناء ، وبزغت : ظهرت ، والنجلاء : واسعة العينين ، والمعطار : ذات الرائحة الطيبة

مزاح في مجلس الأمير

كان سعد بن شداد الكوفي النحوي من تلاميذ أبي الأسود الدؤلي ، وكان ذا مزاح وفكاهة ، وكان ذلك منه مقبولاً ، ومن ذلك :

٤٦- اختلفت قبيلتا بني راسب والطُفاوة في مولود فاحتكموا إلى زياد بن أبيه والي معاوية ، فقال سعد : أيها الأميرُ، يُلقى هذا المولود في الماء ، فإن رسب فهو من راسب ، وإن طفا فهو من طُفاوة ! فأخذ زياد نعله وقام ضاحكاً ، وقال : ألم أنهك عن هذا الهزْل في مجلسي ؟

٤٧- وكان عبيد الله بن زياد يستظرفه ويقرّبه ، فأبطأ عن صلته شهراً ، فقال عبيد الله يوماً : ما أحوجني إلى وُصفاء لهم حلاوة وقدود ذوي رشاقة يقومون على رأسي ، فقال سعد: حاجتك عندي أيها الأمير وعمد إلى أصلح من قدر عليه من الغلمان الذين عنده في المكتب ، فألبسهم ثياب الوصفاء ، وأتى بهم عبيد الله فاشتراهم وغالى بهم ، ومضى سعد واختفى عند بعض أصحابه ، فلما جاء الليل بكى الصبيان فقال لهم عبيد الله : ماذا تريدون ؟ قالوا : نريد بيتنا ،فقال: وأين بيتكم؟ قالوا : في موضع كذا وكذا ، وأنا ابن فلان وهذا ابن فلان ، ففطن عبيد الله أنها حيلة وسخرية ، فوضع عليه الرصد ، فلما جيء به قال : ماحملك على ما فعلت ؟ قال : أبطأت عليَّ صلتُك ! فضحك منه وترك المال له "(بغية الوعاة : ١/٥٧٩)

۞ ۞ ۞

ذكـــاء سيبويه

سيبويه رحمه الله هو إمام النحـاة ، وهـو عمـرو بـن عثمـان بـن قَنْبَر وكنيته أبو بِشْر ، وسيبويه لقبه ، وقيل إن معناه " رائحة التفـاح" وهـو لفظ فارسي ، وكان نظيفاً جميلاً ، لازم الخليل حتى برع في النحو ، ومـا يزال كتابه في النحو أهم كتب هذا العلم على الإطـلاق ، والـذي دفعـه إلى تعلم النحو هذه الحكاية :

٤٨- كان سيبويه يستملي على حمّاد الحديـثَ ، فقـال حمـاد يومـاً : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما مـن أحـدٍ مـن أصحـابي إلا وقد أخذتُ عليه ، ليس أبا الدرداء " فقال سيبويه : ليس أبو الـدرداء ، فقال حماد : لحنتَ ياسيبويه ، فقال سيبويه : لا جَـرَمَ ، لأطلـبن علمـاً لا تُلحِّنني فيه أبداً،فطلب النحو ولزم الخليل"(أخبار النحويين البصريين: ٣٤)

قلت : من هذه الواقعة الصغيرة انطلق سـيبويه إلى تعلـم النحـو حتـى برع فيه وصار مقدماً على أقرانـه ، ومـا يـزال كتابـه أهـم كتـب النحـو وأصعبها وأكثرها فوائد ، أما اللحن - واللحن هنا هو الخطأ في الضبـط الإعرابي للفظ - فهو في رفع ما بعد ليس ، وليس هذه لها استعمالات ، منها أن تكون فعلاً جامداً من أخوات كان وتعمل عملها في رفع المبتـدأ ونصب الخبر ، ومنها التي تكـون بمعنـى إلا فينصـب مـا بعدهـا علـى أن ليس حرف استثناء ، وهذا ما نطق به حماد في رواية الحديث ، فاعترضـه سيبويه ، والصواب ما في رواية حماد ، أما قول سيبويه : لا جَرَمَ، فمعناه

حقاً ، أو لا بدّ أو لا محالة ...وفيه أقوال متعددة كذلك في االسان (جرم)

بلاغة أعرابي

اشتهر الأعراب بالإيجاز والفصاحة ، مما يناسب حياة البدو والصحراء، وكان شبيب بن شبة من الخطباء المشهورين ، فحدث ذات يوم أنه خطب خطبة فطول فيها ، فردّ عليه أعرابي ... وهذه حكايتهما:

٤٩- خطب شبيب إلى أعرابي بعضَ حُرَمه فطوّل - أي في الخطبة- وكانت للأعرابي حاجة يخاف فوتها ، فاعترض الأعرابي على شبيب وقال له : يا هذا ، إن الكلام ليس للمكثر المطنب ، ولكنه للمقلّ المصيب ، وأنا أقول : الحمد لله رب العالمين ، وصلى ا لله على سيدنا محمد سيد المرسلين وخاتم النبين ، أما بعد : فقد أذليتَ بقرابةٍ ، وذكرت حقاً ، وعظّمت مَرْعياً ، فقولك مسموع ، وحبلك موصول ، وبَذْلُك مقبول ، وقد زوّجنا صاحبك على اسم ا لله "(أخبار النحويين البصريين :٦٢-٦٣)

أدلى الشيء بمعنى أنزله إلى أسفل ... هذا هو الأصل الحسي ، ثم استعمل في إلقاء الشيء مادياً كان أو معنوياً ... فقوله : أدليت بقرابة

أي توّصلت وألقيت إلينا حبال القرابة وصلة الرحم ، وقولـه : عظمـت مرعياً بمعنى عظمت ما بيننا من القرابة والحقـوق والصـلات ، وقولـه : بذلك موصول أي ما ذكرت من المال والصَدَاق " المَهْر" مقبول ... وقد أوجـز الأعرابـي الخطبـة إيجازاً ولم يخـل بشـيء مـن أركانهـا ، فافتتحهـا بالحمد وذكر أموره وختمها بذكر الله .

❁ ❁ ❁

الفأل الحسن

الفأل الحسن أمر محبوب ، أما التطير فهو مكـروه ...حكـى الشـهاب محمود الحلبي عن شمس الدين الخُوَيِّي الشافعي المولود بدمشق سـنة سـتٍ وعشرين وستمائة هذه الواقعة في الفأل الحسن ، قال :

٥٠- حججت أنا وإياه - يعني الشهاب محموداً - فلما كنا بالموقف ذكرنا حديث : "من ذكرني في نفسه " فقال ابن الخويي : ليـت شعري هل ذكرنا بالملأ الأعلى ؟ وإذا بمنادٍ ينادي على كتاب لا ندري ما هـو ، فقلت للخويي : ننظر في الكتاب ، ونأخذ منه فألاً ، فـإذا أول الصفحـة اليمنى من شعر ابن الفارض :

لك البشارةُ فاخلعْ ما عليك فقدْ ذكّرت ثَمَّ على فيك من عِوَجِ

فخلـع الخويـي ثيـاب إحرامـه ، ودفعهـا إلى الرجـل الـذي كـان معـه الكتاب ، وسُرَّ بذلك سروراً عظيماً " (بغية الوعاة : ١/٢٤)

قلت : الفأل الحسن أمر طيب ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعجبه الاسم الحسن وكل شيء حسن ، وفي صلح الحديبية لما جاء سهيل بن عمرو نائباً عن أهل مكة للتفاوض فأبصره المسلمون فقالوا جاء سهيل قال النبي صلى الله عليه وسلم : سهّل الله أمركم " وورد في الأدب المفرد للبخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم انتدب رجلاً ليسوق إبل الصدقة فقال : ما اسمك ؟ قال : فلان ، قال : اجلس ، ثم انتدب آخر فقال : ما اسمك ؟ قال : ناجية ، قال : أنت لها فسُقْها ، أما التطير والتشاؤم فليس من أخلاق الإسلام ، بل هو حرام ، وذلك كأن يرى الإنسان شيئاً فيظن أن وراءه شراً ، أما حديث " من ذكرني في نفسه " فهو حديث صحيح رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

" يقول الله تعالى : أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خيرٍ منهم "

وهو حديث عظيم في فضل ذكر الله تعالى ، وابن الفارض شاعر صوفي كبير ولد في القاهرة وعاش زاهداً ورحل إلى الحجاز ، وله قصائد صوفية كثيرة مليئة بألفاظهم ومصطلحاتهم الخاصة ، ومنها الميمية في الخمرة وهي عندهم الحب الإلهي كما زعموا ، ومطلعها :

شربنا على ذكر الحبيب مُدامةً سكِرْنا بها من قبل أن يُخلق الكَرْمْ

والمدامة : الخمر ، والكرْم : العنب ، وهو من الثمار التي تُتخذ منها الخمر .

۞ ۞ ۞

كرم الصاحب بن عبّاد

كان الصاحب بن عباد من الوزراء الأدباء ، ولي الوزراء ثمانيَ عشرةَ سنةً ، وكان مُعظماً مُحْترماً من الخلفاء والعلماء والعامة ، طلبه بعض الملوك للوزارة في بلاد فارس فكان مما اعتذر به أن خزانة كتبه تحتاج وحدَها إلى أربعمائة جمل لنقلها ! وبذلك ترى مبلغ الرقي الذي بلغته حضارة الإسلام ، ففي زمن لم تعرف فيه المطابع وكثرة الورق بلغت خزانة كتبه هذا المبلغ ! ومن المواقف الطريفة التي وقعت للصاحب هذا الموقف :

٥١- "كان في صغره إذا أراد المضي إلى المسجد ليقرأ تعطيه والدته ديناراً في كل يوم ودرهماً ، وتقول : تصدق بهذا على أول فقير تلقاه ، فكان هذا دأبَه في شبابه إلى أن كبر ، وصار يقول للفرّاش كل ليلة : اطرح تحت المطرح ديناراً أو درهماً لئلا ينساه ، فبقي على هذا مُدَّة ، ثم إن الفراش نسي ليلةً من الليالي أن يطرح له الدرهم والدينار ، فانتبه وصلى ، وقلب المطرح ليأخذ الدرهم والدينار ، ففقدهما فتطير من ذلك وظن أنه لقرب أجله ، فقال للفراشين : خذوا كلَّ ما هنا من الفراش ،وأعطوه لأول فقير تلقونه ، حتى يكون كفّارة لتأخير هذا ،

فلقوا أعمى هاشمياً يتكيء على يد امرأة ، فقالوا : تقبَّلْ هذا ، فقال : ما هو ؟ فقالوا : مطرح ديباج ومخادّ ديباج ، فأغمي عليه ، فأعلموا الصاحب بأمره فأحضره ورش عليه ماء ، فلما أفاق سأله ، فقال: اسألوا هذه المرأة إن لم تصدقوني ، فقالوا له :اشرح ، فقال : أنا رجل شريف ، لي ابنة من هذه المرأة ، خطبها رجل فزوجناه ، ولي سنتان آخذ القدْر الذي يفضل عن قوتنا أشتري لها به جهازاً ، فلما كان البارحة قالت أمها : اشتهيت لها مطرح ديباج ومخادّ ديباج ، فقلت : من أين لي ذلك وجرى بيني وبينها خصومة ، إلى أن سألتها أن تأخذ بيدي ، وتخرجني حتى أمضي على وجهي ، فلما قال لي هؤلاء هذا الكلام ، حُقّ لي أن يغشى عليَّ ، فقال الصاحب : لا يكون الديباج إلا مع ما يليق به ثم اشترى له جهازاً يليق بذلك المطرح ، وأحضر زوج الصبية ، ودفع إليه بضاعة سنية "(بغية الوعاة : ١/٤٤٩)

☾ ☾ ☾

تحاسد الأدباء

تحاسد الأقران معروف منذ القدم ، لايكاد ينجو منه إلا القليل ،وقد يضطر ذلك بعضهم إلى التجاوز والكذب ، ومن ذلك هذه الواقعة :

٥٢- كان الحسين بن الوليد بن نصر أبو القاسم بن العريف النحوي الأندلسي في أيام المنصور بن أبي عامر من أمراء الأندلس ، وممن يحضر مجالسه واجتماعاته مع أبي العلاء صاعد بن الحسن اللغوي ... وجيء

يوماً إلى المنصور هذا بوردة في مجلس من مجالس أنسه أولَ ظهور الورد فقال في الوقت أبو العلاء صاعد بن الحسن – وكان حاضراً – يخاطب المنصور :

أتتك أبا عامرٍ وَرْدَةٌ   يُحاكي لك المسكُ أنفاسَها
كعذراءَ أبصرها مبصرٌ   فغطت بأكمامها رأسَها

فاستحسن المنصور ما جاء به وتابعه الحاضرون ، فحسده أبو القاسم بن العريف –وكان حاضراً – فقال : هي للعباس بن الأحنف ، فناكره صاعد ، فقام ابن العريف إلى منزله ووضع أبياتاً وأثبتها في دفتر ، وأتى بها قبل افتراق المجلس ، وهي :

عَشَوْتُ إلى قصر عبّاسةٍ   وقد بدّل النومُ حراسَها
فألفيتُها في خِدْرِها   وقد صرّع السُكْرُ أناسَها
فقالت:أسارعلى هجمةٍ   فقلت بلى، فرمت كاسَها
ومدت إليّ وردةَ كفها   يحاكي لك المسكُ أنفاسها
كعذراءَ أبصرها مبصرٌ   فغطت بأكمامها رأسَها
وقالت : خفِ الله لاتفضَحَنّ في ابنة عمك عباسَها
فوليت عنها على غفلةٍ   وما خنتَ ناسي ولا ناسها

قال : فخجل صاعدٍ ، وحلف فلم يُقبل ، وافترق المجلس على أنه سرقها !! " (بغية الوعاة : ٥٤٣/١) قوله : يحاكي أي يشابه المسكُ رائحة الورد ، وعشى : قصد الشيء ليلاً ، يقال : عشا الساري النارَ يعشوها عَشْوَاً وعشى إليها : رآها ليلاً من بعيد فقصدها مستضيئاً ، ومثله اعتشاها ، وألفى : وجد ، والخِدْر : موضع صون الفتاة أو المرأة فلا تُرى ، والأُنّاس : المؤنسِون من الخدم والجواري ، وعذراءَ : مجرورة بالفتحة نيابة عن الكسرة لامتناعها من الصرف.

من خلاف النحاة مع الشعراء

خلاف النحاة مع الشعراء قديم ، فالشعراء يقولون كما تعلموا على سنن العرب في الكلام ، وللشعر أحكامه الوزنية والإيقاعية ، وهي أحكام تحتم على الشاعر أحياناً الخروج عن الأصول اللغوية من نحو وصرف وغيره لضرورة الوزن والقافية وهو ما سماه النقاد : الضرورة الشعرية ، وقد كثر انتقاد النحاة للشعراء حتى وقع الهجاء والتنافر ، فمنهم من هجا النحاة كالفرزدق ، ومنهم من صاحب النحاة كصحبة المتنبي لابن جني، وكان المتنبي يقول : ابن جني أعلم بشعري مني ، وهذه حقيقة ، فالشاعر يتمثل أقوال العرب وموروثهم اللغوي فينسج على منواله دون الدخول في أصول التراكيب والكلمات كما يفعل النحوي ، وقد سجلت المؤلفات القديمة بعض هذا الموروث الخلافي ،

ومن أشهرها كتاب " الموشّح " للمرزباني ، وهو في مآخذ العلماء على الشعراء ، والمرزباني عالم ناقد ، والمرزباني لقبه ومعناه في الفارسية "حارس الحدود" ومن وقائع الشعراء مع النحاة وقائع عبد الله بن أبي إسحق الحضرمي النحوي مع الفرزدق ، وعبد الله هذا من أوائل النحاة وأشهرهم ، وكان يكثر الردّ على الفرزدق والتعنّت له ومن وقائعهما :

٥٣- قال الفرزدق من قصيدة في مدح يزيد بن عبد الملك :

مستقبلين شمالَ الشامِ تضربُنا بحاصبٍ كنديفِ القطنِ منثورِ

على عمائمنا تُلقي وأرْحُلنا على زواحفَ تُزْجَى مُخُّها رِيرُ

فألحّ عليه ابن أبي إسحق ،وعابه بخفض البيت الأول ورفع الثاني ، فغيره الفرزدق فقال : على زواحفَ نُزْجيها محاسيرِ

واغتاظ الفرزدق فهجا عبد الله ، فقال :

فلو كان عبدُ الله مولى هجوتُه ولكنَّ عبدَ الله مولى مواليا

فقال له عبد الله : لحنت : كان ينبغي أن تقول : مولى موالٍ " (أخبار النحويين : ٢١، وبغية الوعاة : ٤٢/٢)

وهو يصف في البيت رحلته في شمال الشام ، حيث تساقطت الثلوج ، والحاصب : القاصف ، ونديف القطن : قطعه ونُثاره بعد إخراج البذور منها ، شبه الثلج به ، وهو ثلج تساقط على العمائم والأرحل ،

والأرحل جمع رَحْل وهو عُدّة الراكب على البعير ، ويعني بالزواحف هنا الإبل ، وتزجى : تُدفع وتساق ، والرِير : الذائب من المخ ، يُقال : أرارَ ا لله مُخّه : رقّقه " (القاموس المحيط : رير)

أما المحاسير فهي الإبل التي سيقت حتى تعبت وأصابها الإعياء ، وكان من عادة الشعراء وصف صعوبة الرحلة وأهوالها ليكون أوقع في نفس الممدوح ، وأسخى لنفسه ، وأوصلَ إلى خزائه ! وكان حق محاسير الجر بالفتحة لمنعها من الصرف ، ولكنه جرها بالكسرة للضرورة الشعرية ، والخطأ الذي وقع فيه الشاعر يسمى الإقواء ، أما لحنه في البيت الأخير فلأنه نصب " مواليا " وحقه الجر بالإضافة وحذف يائه لأنه اسم منقوص ، فيقول : مولى موالٍ ، وهو ماذكره عبد ا لله منكراً على الفرزدق ، وكان عبد ا لله من الموالي ، وهم الذين دخلوا الإسلام من غير العرب وأكثرهم كانوا من الفرس ، ولكنهم برعوا في العلوم حتى صار أكثر علماء الحديث من بلاد فارس وما وراء النهر ، فالبخاري من" بُخارى" ومسلم عربي ولكنه عاش في نَيْسَابور وتربى بها، وأبو داود من سجسْتان وابن ماجة من قزوين ، والنسائي نسبة إلى نَسا ،والبيهقي من بيهق ... وكل هذه من بلاد فارس ، وبالجملة فإن الإسلام لايفرق بين عربي وغير عربي إلا بالتقوى والعلم النافع والعمل الصالح .

فطنة شاعر

وقعت الحرب بين الخلفاء والأمراء وبين الخوارج منذ عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، والخوارج فرقة خرجت على عليّ بن أبي طالب وحاربته لأنه قبل التحكيم بينه وبين معاوية بن أبي سفيان ، وقالوا : لاحكمَ إلا لله ، فقال علي :كلمة حق أُريدَ بها باطل ، فذهب ذلك مثلاً ، وكانت حرب الخوارج ضد الأمويين شديدة متواصلة ، وكان خلفاء بني أمية إذا ظفروا بهؤلاء نكّلوا بها وقتلوهم ، وحدث ذات مرة أن وقع أحد هؤلاء الخوارج في يد هشام بن عبد الملك ، فحدث ما يأتي :

٥٤- قال عتبان بن أصيلة الخارجي يهجو بني أمية :

فإن كان منكم كان مروانُ وابنه وعمروٌ ومنكم هاشم وحبيبُ
فمنّا حُصَينٌ والبطِين وقَعْنَبٌ ومنا أميرُ المؤمنين شبيبُ

فلما ظفر به هشام قال : أنت القائل :

ومنا أميرُ المؤمنين شبيبُ ؟

فقال : لم أقل إلا : ومنا أميرَ المؤمنين شبيبُ" (الحماسة البصرية : ٥٢٧/)

قلت : في قوله : "ومنا أميرُ المؤمنين شبيبُ "برفع " أمير" يكون المعنى "ومنا أمير للمؤمنين هو شبيب " كما أن من بني أمية أميراً ...أما قوله : بنصب " أمير " على أنه منادى مضاف حذفت منه أداة النداء ، فيكون المعنى : ومنا ياأمير المؤمنين – وهو هنا هشام – رجل شجاع هو شبيب ففي رواية الرفع إثبات الإمارة لشبيب ، وفي رواية النصب إثباتها لهشام بن عبد الملك ، فأمير بالرفع مبتدأ مؤخر ، وبالنصب منادى مضاف .

فانظر إلى تأثير الحركة الإعرابية في المعنى وتغييرها إياه ! ولذا كان للإعراب شأن عند العرب عظيم ، وقد درست هذا مفصلاً في رسالتي للماجستير ، وهي بعنوان "وجوه الإعراب وعلاقتها بالدلالة – دراسة تطبيقية في سورة آل عمران "

⦿ ⦿ ⦿

ذكاء الفيروزآبادي وسعة علمه

وهو الإمام اللغوي المحدث مجدُ الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيرازي الفيروز آبادي ، صاحب القاموس المحيط وغيره من المؤلفات القيمة ، ولد في كازَرين من بلاد فارس سنة تسع وعشرين وسبعمائة ، وتجوّل في البلدان حتى استقر في اليمن وزوّج أميرَها ابنته، وصار ذا مكانة رفيعة بين الناس ، وكان ذكياً حافظاً متقناً ، ومن نوادره :

٥٥- سئل الفيروز آبادي عن قول علي رضي الله عنه لكاتبه : الصقْ رَوَانِفَك بالجَبوب ، وخذ المِزْبرَ بشناترك ، واجعل حُنْدورَتيك إلى قَيْهلي ، حتى لا أنغَي نغيةً إلا أودعتَها حَماطةَ جُلْجُلانك " ما معناه ؟

فقال الفيروز آبادي : الزق عَضْرطَك بالصَّلّة وخذ المصطر بأبخاسك واجعل جُحْمتيك إلى أثعباني ، حتى لا أنبس نبسةً إلا وعيتها في لَمْظةِ رباطك "فتعجب الحاضرون من سرعة الجواب بما هو أبدع وأغرب من السؤال " (بغية الوعاة : ١/٢٧٤)

قلت : هذا من غريب اللغة وعويصها ، ولايلمُّ بذلك إلا القليل ، أما تفسير هذه الألفاظ فعلى النحو الآتي :

الروانف : المقعدة ، الجبوب : وجه الأرض ، والمعنى على هذا : الصق مقعدتك بالأرض ، والمِزّبر : القلم ، والشناتر : الأصابع ، والحندورتان والجُحْمتان : العينان ، والقَيْهل : الوجه، أنغي : أنطق ، الحماطة : الحبّة ، الجُلجلان : القلب .

❊ ❊ ❊

التحدي والاستجابة

التحدي والاستجابة أمر ينطبق على الفرد والجماعة ، والمراد به أن يتعرض الفرد أو الأمة إلى مأزق خطير فتكون الاستجابة المناسبة لذلك التحدي بالقدرة والتخطيط السليم لتجاوز هذه الأزمة ، فيتولد من

التحدي استجابة إيجابية تقفز بصاحبها إلى الأمام ، وقد حدث ذلك كثيراً للأفراد والجماعات ، وهذا الذي ذكرناه صلب النظرية التاريخية التي بنى عليها المؤرخ البريطاني الشهير " أرنولد توينبي" تفسيره للتاريخ العالمي في كتابه المترجم " دراسة في التاريخ " وغيره من كتبه ،وقد سبق لنا أن ذكرنا الدافع الذي حدا بسيبويه إلى تعلم النحو ، وهو لحنه في مجلس أستاذه ، وهذا موقف مشابه للكسائي نرويه ها هنا ، والكسائي هو رأس مدرسة الكوفة في النحو والقراءات واللغة ، وكان يجالس الخلفاء والأمراء ويؤدب أولادهم ، وتعلم الكسائي النحو على كبر سنه بسبب هذه الحادثة :

٥٦- جاء الكسائي إلى قوم وقد أعيا ، فقال : قد عييتُ ، فقالوا له: تجالسُنا وأنت تلحن ؟ قال : وكيف لحنت ؟ قالوا : إن كنت أردت من انقطاع الحيلة فقل : عييتُ ، وإن أردت من التعب فقل : أعييتُ ، فأَنِفَ من هذه الكلمة ، وقام من فوْره ، وسأل عمّن يعلمُ النحو ، فأُرْشِد إلى مُعاذ الهرّاء ، فلزمه حتى أنفد ما عنده ، ثم خرج إلى البصرة فلقي الخليل ، وجلس في حلقته ، فقال له رجل من الأعراب : تركت أسدَ الكوفة وتميماً وعندهم الفصاحة ، وجئت إلى البصرة ! فقال للخليل : من أين أخذت علمك هذا ؟ فقال : من بوادي الحجاز ونجد وتِهامة ، فخرج ورجع ، وقد أنفد خمسَ عشرةَ قنينةً حِبراً في الكتابة عن العرب سوى ما حفظ " (بغية الوعاة : ١٦٣/٢)

قلت : بنو أسد وبنو تميم قبيلتان اشتهرتا بالفصاحة ، وعنهما أخذ العلماء كثيراً من اللغة .

❁ ❁ ❁

المبرّد والمجنون

والمبرد هو أبو العباس محمد بن يزيد الأزْدي ، لغوي ونحوي كبير ، له كتب كثيرة أشهرها " الكامل و المقتضب " وهذا الأخير كتاب ضخم أخذ فيه كثيراً من كلام سيبويه وشرحه ووضحه ، وهو من أئمة البصرة في النحو واللغة ، وله طرائف ونوادر ، نذكر أحدها هنا لطرافته مع الاعتذار لطوله لأن نقله مختصراً يفسد المعنى ، ولم أنقله إلا لما وجدت فيه من النوادر ، وهو :

٥٧- قال محمد بن يزيد ، قال : قال لي المازني : ياأبا العباس ، بلغني أنك تنصرف من مجلسنا ، فتمضي إلى المخيِّس ، وإلى مواضع المجانين والمعالَجين ، فما معناك في ذاك ؟ قال : فقلت : إن لهم أعزك ا لله ، طرائفَ من الكلام ، وعجائب من الأقسام . فقال : خبرني بأعجب ما رأيته من المجانين ؟ قال: فقلت : دخلت يوماً إلى مستقرهم ، فرأيت مراتبهم على مقدار بليتهم ، وإذا قوم قيام قد شُدَّتْ أيديهم إلى الحيطان بالسلاسل ، ونقبت من البيوت التي هم بها إلى غيرها ، مما يجاورها ، لأن علاج أمثالهم أن يقوموا الليل والنهار ، لا يقعدون ولا يضطجعون ، ومنهم من يُحْلَب على رأسه وتُدهن أرداؤه ، ومنهم من يُنْهَل ويُعَلّ

بالدواء ، حسْب ما يحتاجون ، فدخلت يوما مع ابن أبي خَميصة ، وكان المتقلدَ للنفقة عليهم ، ولتفقد أحوالهم ، فنظروا وأنا معه ، فأمسكوا عما كانوا عليه ، لولاء موضعه ، فمررت على شيخ منهم تلوح صلعته ، وتبرق للدهن جَبْهَتُهُ ، وهو جالس على حصير نظيف ، ووجهه إلى القبلة ، كأنه يريد الصلاة ، فجاوزته إلى غيره ، فناداني : سبحان الله ! أين السلام ؟ مَن المجنون تُرى ؟ أأنا أم أنت ؟ فاستحييت منه ، وقلت : السلام عليكم . فقال : لو كنت ابتدأت ، لأوجبت علينا حسن الرد عليك ، على أنا نصرف سوء أدبك إلى أحسنْ جهاته من العذر ، لأنه كان يقال : إنَّ للداخل على القوم دَهْشَة،اجلس أعزك الله عندنا ، وأومأ إلى موضع من حصير ينفضه، كأنه يوسِّع لي ، فعزمت على الدنوِّ منه ، فناداني ابن أبي خَميصة : إياك إياك ، فأحجمت عن ذلك ، ووقفت ناحية أستجلب مخاطبته ، وأرصد الفائدة منه ، ثم قال لي ، وقد رأى معي محبرة : يا هذا ، أرى معك آلة رجلين ، أرجو ألا تكون أحدهما ، أتجالس أصحاب الحديث الأغثاث ، أم الأدباء من أصحاب النحو والشعر ؟ ثم قال : أتعرف أبا عثمان المازني ؟ قلت : نعم ، معرفةً ثاقبة ، قال : أفتعرف الذي يقول فيه :

وَفَتى مِنْ مَازِنٍ ساَدَ أَهْلَ البَصرَهْ
أُمُّهُ معْرِفَةٌ وَأَبُوهُ نَكِرهْ

قلت : لا أعرفه ، قال : أفتعرف غلاما له قد نبغ في هذا العصر معه ذهن ، وله حفظ ، وقد بَرزَ في النحو ، وجلس في مجلس صاحبه وشاركه فيه ، يعرف بالمبرِّد ؟ قلت : أنا والله عينُ الخبير به ، قال :

فهل أنشدك شيئاً من عَبَثات أشعاره ؟ قلت : لا أحسبه يحسن قول الشعر ، قال سبحان الله ! أليس هو الذي يقول :

حَبَّذا مَاءُ العَناقِيد　　بِرِيقِ الغانِيَـــاتِ

بهما يَنْبتُ لَحْمِي　　ودَمِي أيَّ نَبَـــاتِ

أَيُّهاَ الطَّالبُ أَشْهَى　　مِـن لَذِيذِ الشَّهَوَاتِ

كُلْ بِمَاءِ المُزْنِ تُفَّـــاحَ خُدُودِ النَّاعمَاتِ

قلت : قد سمعته ينشد هذا في مجلس الأنس ، قال : ياسبحان الله! أوَ يُستَحْيَا أن يُنْشَد مثل هذا حول الكعبة ! ما تسمع النـاس يقولـون في نسبه ؟ قلت : يقولون : هو من الأزْدِ ، أزدِشَنُوءة ، ثـم مـن ثُمالـة ، قال : قاتله الله ! ما أبعد غورَه ! أتعرف قوله :

سألنَا عَنْ ثُمـــالَةَ كُلَّ حَيٍّ　　فقال القائلُون : ومن ثُمالَه ؟

فقلْتُ : مُحَمدُ بْنُ يزيدَ منْهُمْ　　فقـــالوا : زدْتَنا بهِمْ جهَالَه

فقال لِي المُبرِّدُ : خَلِّ قَوْمِـــي　　فقَوْمِـــي مَعْشَرٌ فيهمْ نذالَهْ

قلت : أعرف هذه الأبيات لعبد الصمد بن المعذل ، يقولها فيه، قال : كَذَب من ادعاها غيره ! هذا كلام رجل لا نسب له ، يريد أن يُثبـت بهذا الشعر له نسباً ، قلت : أنت أعلم ، قال : يـا هـذا ، قـد غلبـت بخفة روحك على قلبي ، وتمكنت بفصـاحتك مـن استحسـاني ، وقـد أخرتُ ما كـان يجب أن أقدمه، الكنيـةُ أصلحك الله ؟ قلـت : أبـو

العباس ، قال : فالاسم ؟ قلت : محمد ، قال : فالأب ؟ قلت :يزيد، قال قَبحك الله ! أحوجتني إلى الإعتذار إليك مما قدمت ذكره ، ثم وثب باسطاً يده لمصافحتي ، فرأيت القيد في رجله وقد شُدَّ إلى خشبة في الأرض ، فأمنت عند ذلك غائلته ، فقال : يا أبا العباس : صُنْ نفسك عن الدخول إلى هذه المواضع ، فليس يتهيأ لك في كل وقت أن تصادف مثلي ، على مثل هذه الحال الجميلة ، أنت المبرّد ، وجعل يصفّق ، وقد انقلبت عينه ، وتغيرت حِلْيته ، فبادرت مُسرعاً ، خوفاً أن تبدُرَني منه بادرة، وقبلت قوله ، فلم أعاود الدخول إلى مُخيِّس ولا غيره . (أخبار النحويين :٧٣)

٭ ٭ ٭

بين أبي العتاهية ومحمد بن مُناذر

كان أبو العتاهية شاعراً مُكثراً ، وكان يقول شعرالزهد ، ولكنه لم يكن زاهداً، وإلا فما الداعي إلى تقلبه في بلاط الخلفاء والوزراء والأمراء يطلب جوائزاهم وعطاياهم ؟ ! فالزهد في شعره لون فني كان مطلوباً ليواجه ما انتشر في المجتمع من المتع واللذات في عصر بني العباس، وكان شعره لكثرة ما يقول منه يميل إلى السهولة والعذوبة ، ولذا وقعت له هذه الحادثة :

٥٨- قال أبو العتاهية يوماً لمحمد بن مُناذر : كيف أنت في الشعر ؟ فقال : أقول في الليلة عشرة أبيات إلى خمسةَ عشرَ ، فقال أبو العتاهية :

لو شئت أن أقول في الليلة ألف بيت لقلت ، فقال: أجـل وا للهِ ؛ لأنـك تقول: ألا ياعُتبةُ الساعَهْ أموت الساعةَ الساعَهْ

وتقول : يا عُتبُ مالي ولكْ يالـــيتني لـــمْ أرَكْ

وأنا أقول :

ستظلمُ بغدادُ ويجلو لنا الدجى بمكةَ ما عشنا ثلاثةَ أبْحُـــــرِ

إذا وردوابطحاءَ مكةَ أشرقت بيحيى وبالفضلِ بن يحيىوجعفرِ

فما خُلقت إلا لجودٍ أكفُّهـــمُ وأرجلُهم إلا لأعواد منـــــبرِ

ولو أردتَ مثلَه لطال عليك الدهرُ ، فإني لا أعوّد نفسي مثلَ كلامِك الساقط ، فخجل أبو العتاهية " (بغية الوعاة : ١/ ٢٤٩)

قولـه : ألا : هـي أداة استفتاح وتنبيـه ، ولـذا تـرد في أول الجمـــل، ومعنى يجلو : يُظهر ويبـين، وإظـلام بغـداد لخـروج الممدوحـين منهـا إلى مكة، والمراد بثلاثة الأبحر هؤلاء الممدوحين في البيت بعده وهم من أسرة البرامكة المشهورة ، وهي أسرة فارسية شـغلت الـوزارة للعباسـين وقتـاً طويلاً ثم نُكبوا فقتل بعضهم وسجن آخرون ، وهـي نكبـة مشـهورة في تاريخ العباسيين باسم نكبة البرامكة ، وكانوا ذوي علم وكـرم ، ولكـن السياسة لاترحم ولا تعرف الرحمة !!

❁ ❁ ❁

عقاب الخلفاء والولاة على اللحن

كان الخلفاء والولاة يحافظون ويشجعون ولاتهم وخدمهم على تعلم اللغة والشعر ، وإذا وقع لحن من أحدهم نُبه عليه وربما عوقب وربما طرد من وظيفته بسبب لحن أو خطأ في اللغة، هكذا كان شأن اللغة عندهم عظيماً ، ومن ذلك هذه الواقعة:

٥٩- حكى ثعلب عن شيخه محمد بن عبد الله بن قادم النحوي قال وجّه إليّ إسحاق بن إبراهيم المصعبيُّ يوماً ، فأحضرني ولم أدرِ ما السبب، فلما قربت من مجلسه ، تلقاني ميمون بن إبراهيم كاتبه على الرسائل ، وهوعلى غاية الهلع والجزع ، فقال لي بصوتٍ خفي : إنه إسحاق ! ومرَّ غيرَ متلبثٍ حتى رجع إلى مجلس إسحاق ، فراعني ذلك ، فلما مَثُلْتُ بين يديه قال لي : كيف يقال : وهذا المالُ مالٌ ، أو : هذا المال مالاً؟ قال : فعلمت ما أراد ميمون ، فقلت : الوجه : مالٌ ،ويجوز: مالاً ، فأقبل إسحق على ميمون يغلّطه فقال : الزم الوجهَ في كتبك ، ودعنا من : يجوز ويجوز ، ورمى بكتاب كان في يده ، فسألت عن الخبر، فإذا ميمون قد كتب إلى المأمون وهو ببلاد الروم عن إسحق ، وذكر مالاً حمله إليه : "وهذا المالُ مالاً " فخط المأمون على الموضع من الكتاب ووقّع بخطه على الحاشية: تخاطبني بلحنٍ ؟ فقامت القيامة على إسحاق ، فكان ميمون بعد ذلك يقول : لا أدري كيف أشكر ابن قادم ؟! أبقى على روحي ونعمتي . (بغية الوعاة : ١/١٤٠)

۞ ۞ ۞

مزاحٌ وتنافسٌ

كما ذكرنا مراراً فإنا نجد التنافس بين الأقران في كل فن ، وكان ابن بسام ونِفْطويه وابن دريد متعاصرين ، وكان بينهم من المزاح والتنافس ما يأتي :

٦٠- هجا ابن بسّام نفطويه فقال :

رأيتُ في النوم أبي آدَما ... صلى الله عليه ذو الفضلِ

فقال أبلغ ولدي كلّهم ... من كان في حَزْن ومن كان في سهلِ

بأن حوّا أمّهم طالقٌ ... إن كان نِفْطُوية من نسلي

(معجم الأدباء :١/١٦١ وبغية الوعاة : ١/٤٢٨)

الحَزْن : المكان المرتفع وضده السهل ، ونفطويه : يقرأه اللغويون كما يقرأون لفظ سيبويه بفتح الحرف الذي قبل الواو والواو وياء ساكنة بعدها هاء مكسورة ، أما علماء الحديث فيقرأونه بضم الحرف الذي قبل الواو وسكون الواو وفتح الياء بعدها تاء مفتوحة كماضبطناه في الشعر ، والمشهور الأول.

والذي لانشك فيه أن ابن بسام كان مازحاً بل كاذباً في رؤياه هذه ، وأنه لم يرآدم ولا حواء في النوم ، وثمة نهي عن ذلك في السنة الصحيحة، فعن واثلة بن الأسقع عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

" إن من أعظم الفِرَى أن يدّعيَ الرجلُ إلى غير أبيه ، أو يُريَ عينيه ما لم تريا ، ويقولَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يقلْ " رواه البخاري ، وفي مسند الإمام أحمد عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إن من أفرى الفِرَى أن يُريَ الرجلُ عينَه في المنام ما لم ترَ "

٦١- وكان بين ابن دريد ونفطويه خلاف ونزاع ، فقال : نفطويه يهجو ابن دريد :

إبنُ دريدٍ بقره وفيه لؤمٌ وشَرَه
قد ادّعى بجهله جمع كتابِ الجمهره
وهوكتابُ العين إلا أنّه قد غيَّرَه

فبلغ ذلك ابن دريد فقال : يجيبه :

لو أُنزل الوحي على نفطويه لكان ذاك الوحيُ سُخطاً عليه
وشاعرٍ يُدعى بنصف اسمه مستأهلٌ للصفع في أَخْدَعَيْه
أحرقه الله بنصف اسمه وصيّر الباقي صُراخاً عليه

(معجم الأدباء : ١٦٦/١)

فنفطويه يتهم ابن دريد بسرقة كتاب الجمهرة- وهو معجم لغوي- من كتاب العين للخليل بن أحمد مع تغيير بعض ما فيه ، ورد عليه ابن دريد بهجاء لاذع ، والأخدعان : جانبا العنق ، ونصف اسمه " نفط"

يدعو عليه بأن يحرقه الله به ، والنصف الآخر " ويه " وهو صوت الصراخ والعويل ، أما إثبات الهمزة في "ابن" فهو للضرورة الشعرية .

يحيى بن يَعْمُر والحجّاج

ويحيى من علماء النحو واللغة ورواة الحديث الموثقين عند العلماء ، وهو تابعي لقي ابن عباس وابن عمر ، وأول حديث في كتاب الإيمان أولِ كتب صحيح مسلم هو من رواية يحيى بن يعمر عن ابن عمر ، رحمهم الله ورضي عنهم أجمعين ، والحجاج هو طاغية بني أمية سفّاك الدماء صاحب المخازي وقاتل العلماء من التابعين والزهاد ، ومنهم سعيد بن جبير من كبار التابعين وأجلّهم ، ومن مواقفه مع يحيى بن يعمر ما يأتي:

٦٢- قال الحجاج بن يوسف ليحيى بن يعمر أتجدُني ألحنُ ؟ قال : الأميرُ أفصحُ من ذاك ، قال : عزمت عليك لتخبرَنّي ، وكانوا يعظمون عزائمَ الأمراء ، فقال يحيى بن يعمر : نعم ، في كتاب الله ، قال :ذلك أشنع له ، ففي أي شيء من كتاب الله ؟ قال : قرأت :

﴿قُلْ إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانُكم وأزواجُكم وعشيرتُكم وأموالٌ اقترفتموها وتجارةٌ تخشوْنَ كسادَها ومساكنُ ترضونها أحبُّ إليكم من الله ورسولِه وجهادٍ في سبيلِه فتربّصوا حتى يأتيَ اللهُ بأمرِه واللهُ لا يهدي القومَ

الفاسقين﴾(التوبة:٢٤) فترفع أحب وهو منصوب ، قال : إذن لا تسمعني ألحنُ بعدها، فنفاه إلى خراسان ، ويقال : إن يزيد بن المهلب كتب من خراسان إلى الحجاج : إنا لقينا العدو ففعلنا بهم ، واضطررناهم إلى عُرْعُرَة الجبل ونحن بحضيضه ، قال : فقال الحجاج : ما لابن المهلب وهذا الكلام ؟ قيل له : إن ابن يعمر هناك ، فقال : إذن " (أخبار النحويين : ١٧)

قلت : رفع "أحب " لحن ، لأن حقه أن يكون منصوباً لأنه خبر كان منصوب بالفتحة الظاهرة ، والعُرْعُرة من الجبل : رأسه وأعاليه ، والحضيض : القرار من الأرض عند منقطع الجبل .

من نوادر يونس بن حبيب

وهو من علماء اللغة والنحو البصريين ، وكان أستاذاً لسيبويه والكسائي والفرّاء ، ومن نوادره :

٦٣- قال يونس : صنع رجلٌ لأعرابي ثريدةً ، ثم قال له : لا تسقَعْها ولا تشرمها ولا تقعرها ، قال : فمن أين آكل لا أبالك ؟ قال : من جوانبها " (المزهر : ١/١٥٢)

لا تصقعها : لا تأكل من أعلاها ، ولا تشرمها : لا تخرقْها ، ولا تقعرها : لا تأكل من أسفلها ... أما الثريدة فهي الخبز يقطع ويوضع

عليه المرق واللحم ... وقرأت قديماً في بخلاء الجاحظ أن أعرابياً أكل ثريداً مع جماعة فبدأ باللحم حتى قارب الشبع ، فقيل له في ذلك ، فقال: اللحمُ ظاعنٌ والثريد مقيم ، أي أن اللحم يرحل وينتهي سريعاً والثريد أي الخبز بالمرق باق لكثرته ، أما ما قاله الرجل للأعرابي فهو كلام جميل ، وقد ورد فيه حديث صحيح ، ولكن لا ينبغي قول ذلك عند حضور الطعام لما يؤدي إليه من الحرج والخجل ، وفي حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "كلوا في القصعة من جوانبها ولا تأكلوا من وسطها ، فإن البركة تنزل في وسطها " رواه أحمد والبيهقي .

٦٤- وقال يونس بن حبيب : ثلاثةٌ والله أشتهي أن أُمكَّنَ من مناظرتهم يوم القيامة : آدمُ عليه السلام ، فأقولَ له : قد مكّنك الله من الجنة ، وحرّم عليك شجرة ، فقصدت لها حتى ألقيتنا في هذا المكروه ، ويوسف عليه السلام أقول له : كنتَ بمصر ، وأبوك عليه السلام بكنعان ، وبينك وبينه عشرُ مراحل ، يبكي عليك ، لِمَ لمْ ترسلْ إليه : إني في عافية وتريحه مما كان فيه من الحزن ؟ وطلحة والزبير أقول لهما : عليٌّ بن أبي طالب عليه السلام ، بايعتماه بالمدينة ، وخلعتماه بالعراق ، لَمَ ؟ أيَّ شيءٍ أحدث ؟ (أخبار النحويين : ٢٩/٣٠)

قلت : أما سؤاله الذي اشتهى أن يسأله أبانا آدم عليه السلام ، فليس هو أول من فكّر فيه ، فقد سأله موسى عليه السلام السؤال نفسه

من قبل ، وقد ورد ذلك في حديث صحيح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

"احتجّ آدمُ وموسى ، فقال موسى : أنت آدمُ الذي خلقك اللهُ بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأسجد لك ملائكته وأسكنك جنته ، أخرجتَ الناسَ من الجنة بذنبك وأشقيتهم ؟! قال آدم : ياموسى ، أنت الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه ، وأنزل عليك التوراةَ ، أتلومُني على أمر كتبه اللهُ عليَّ قبل أن يخلقني ؟! فحجّ آدمُ موسى" رواه أحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجة ، انظر صحيح الجامع (١٨٤). وقوله صلى الله عليه وسلم : حجَّ آدم موسى أي غلبه بالحجة القاطعة .

أما سؤاله ليوسف فلعل في عدم معرفة أبيه بما حدث له بمصر فوائد لا ندركها ، وذلك قد وقع بقدَر الله تعالى وإرادته ، ولربما لو عرف يعقوب عليه السلام بمكان يوسف لضاع من يوسف تدبير الملك ، إذْ إنه كان مُسْلماً موحداً بين قوم كفّار ظالمين ، وكذلك لامتحان الوالد والولد بالصبر ليقتديَ الناسُ بهما ، وهنالك من الفوائد ما لا نعلمه .

أما اشتهاؤه سؤالَ الزبير وطلحة عن موقفهما من علي بن أبي طالب فإنا نراه على حق في ذلك ، إذ لا نجد مبرراً لنقض البيعة من طلحة والزبير رضي الله عنهما ومحاربتهما للإمام علي رضي الله عنه ، وقد

رجعا عن ذلك إبّان المعركة كما هو مذكور في كتب التاريخ والسير ، ونعوذ با لله أن ننتقص من قدر الصحابة رضوان ا لله عليهم ، فهم أئمة الهدى وأوعية العلم وحملة الدين ، فنترك ما شجر بينهم من الخلاف ولا نخوض فيه ، ولننظر إلى أحوالنا ونصلح من أمورنا لعلنا نلحق بهم .

هذا ما تيسّر لنا جمعه وشرحه من هذه النوادر ، وهدفنا بذلك كله تقريب العربية إلى القاريء الكريم ، وتقريبه إليها ، فهي لغة الدين الحق ، وا لله الموفق والهادي إلى سواء السبيل ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

جريدة المصادر والمراجع

١-القرآن الكريم .

٢-الإتقان في علوم القرآن ، للسيوطي ، ط٤ الحلبي١٣٩٨هـ-١٩٧٨م .

٣-أخبار النحويين البصريين،لأبي سعيد السيرافي،ط١،الحلبي١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م .

٤-البحر المحيط ، لأبي حيان الأندلسي ، ط دار الفكر بيروت ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .

٥-بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، للسيوطي ، ط٢ دار الفكر- بيروت ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

٦-الحماسة البصرية ، لعليّ بن الفرج ، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .

٧-ديوان النابغة الذبياني ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٨-الصاحبي ، لأحمد بن فارس ، ط الحلبي ١٩٧٧م .

٩-صحيح البخاري ، مع شرحه (فتح الباري) لابن حجر ، دار الريان للتراث ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م

١٠-صحيح الجامع الصغير ، للألباني ، ط٣ المكتب الإسلامي - بيروت ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م .

١١-صحيح مسلم بشرح النووي ، ط الحلبي د.ت

١٢-الفائق في غريب الحديث، للزمخشري ، ط الحلبي د . ت .

١٣-فصول في فقه العربية ، د/ رمضان عبد التواب ، ط٢ مكتبة الخانجي ١٩٨٠م .

١٤-القاموس المحيط ، للفيروز آبادي ، ط٢ مؤسسة الرسالة - بيروت ، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م .

١٥-الكتاب ، لسيبويه ، ط٣ مكتبة الخانجي ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م .

١٦-لسان العرب ، لابن منظور ، ط دار المعارف د . ت .

١٧-مجمع الأمثال ، للميداني ، ط٢ ، دار الجيل ، بيروت ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
١٨-مراتب النحويين ، لأبي الطيب اللغوي ، دار نهضة مصر ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م .
١٩-المزهر ، للسيوطي ، ط٣ دار التراث د . ت
٢٠-مسند الإمام أحمد ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١٣هـ ١٩٩٣م .
٢١-معجم الأدباء ، لياقوت الحموي ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١١هـ ١٩٩١م .
٢٢-- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ، لمجموعة من المستشرقين
٢٣-المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، لمحمد فؤاد عبد الباقي .
٢٤-الموشح ، للمرزباني ، دار نهضة مصر .
٢٥-النشر في القراءات العشر ، لابن الجزري دار الفكر - بيروت - د.ت.

صدر للكاتب:

١- القرآن والترادف اللغوي ١٩٩١م.

٢-من سمات الجمال في القرآن الكريم١٩٩٣م.

٣-أشعار الصحيحين،البخاري ومسلم١٩٩٤م.

٤-قصة مؤمن آل فرعون ١٩٩٧م.

٥-فضائل الصبر على المرض ١٩٩٧م.

تحت الطبع"إن شاء الله":

**التكرار الإيقاعي في اللغة العربية.*

**علم الجمال الإسلامي.*

**إعراب ثلاثين حديثاً من جوامع الكلم النبوي.*

**طرائف ونوادر من سير اللغويين والنحاة.*

الفهرست